

النشئة: ١٣٣٩ هـ الموافقة ١٩٢١ م
تنشر في دمشق مرة في الشهر

أيار و حزيران سنة ١٩٤١ م
جمادى الأولى و جمادى الآخرة سنة ١٣٦٠ هـ

626626

دوش

المجمع العلمي العربي

قيمة الاشتراك السنوي { في سورية ولبنان ٣٠٠ قرش سوري
الدفع مقدماً { وفي جميع الأقطار ٤٠٠ =

مطبعة الترقى بدمشق



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

المطبوعات العربية

البدء بالطبع وعبث الطابعين

سبقت مصر سائر الأقطار العربية في الأخذ بأسباب الحياة العلمية ومنها طبع الكتب . ولئن بدأت الاستانة بطبع الحرف (١١٣٩ هـ) بعد أن طبعت الكتب العربية في الغرب بزمان طويل ، إن الطبع بالحروف لم يعمد في مصر الا في سنة ١٢١٢ هـ (١٧٩٧ م) وكانت على ضعف حتى سنة ١٨٢٢ م وهي السنة التي أسست فيها مطبعة بولاق الأميرية وطبعت الأمهات القديمة وكتب العلوم الحديثة . وأنشئت في بيروت مطبعة المرسلين الاميركان البروتستانت سنة ١٨٣٤ م ثم مطبعة المرسلين البسوعيين الكاثوليك في سنة ١٨٤٨ م ، وفي نحو ذلك الزمن دخلت الطباعة بالحروف الى تونس ، وانشأت الحكومات مطابع لها في بعض أنحاء الشرق . وما بدأ الأفراد بتأسيس المطابع في أرض الشرق العربي الا بعد انقضاء زمن على المطابع الحكومية ، وكانت عنايتهم بما يطبعون دون عناية الحكومات ، ذلك لأن القائمين بأمرها توخوا الربح قبل كل شيء ، وتوهموا الأرباح تأتي من طريق الاقتصاد في النفقة من كل باب ، وكان معظم من عانوا الطباعة لاشأت لهم في العلم والأدب ، فأساء بعضهم الطبع بالطبع ، وأخذت الشناعة ببعض ما طبعوا : لادقة في التصحيح ، ولا ذوق في وضع الصفحات والخواشي ، وقد يخلطون في الكتاب كتاباً آخر لا علاقة له بالكتاب الأصلي ، فتستغرق الصفحات بالأصول والزوائد ، ويختارون للطبع أسقم الحروف ويتغيرون أدنى الورق ، ويتطلبون الرخص في كل شيء ، وبذلك خلت مطبوعاتهم من كل بهجة وروعة . ولما كانت أكثر من عانوا طبع الكتب من طبقة العامة ، لم يهتموا لجلهم بغير كتب الخرافات والغمريات على الأغلب ، بدعوى أنها اروج من كتب

العلم، ظانين أن طبع الكتب من جملة ضرور التجارات لا تحتاج الا لما تحتاجه التجارة عامة من رأس مال، ومعرفة بطرق التوفير، واقتناص الربح، والتجارة 'فخو'لم أن يطبعوا ما شاؤوا، ويعملوا بالكتب ما شاؤوا، على أن تكون الغاية من كل ذلك الكسب المضمون، لذلك ما تعفف بعض الوراقين عن طبع كتب المنامات والتعريفات وأشياء سموها كتبها الروحانيات، وأشياء هي من الاسرائيليات، وكتب أسرار الحرف، والجفر، وكتب الكيمياء وعمل الذهب، وكتب السخف والمجون، وطبعوا واكثروا من طبع كتب ابي معشر والديري واضرابها، وكل الكتب المنسوبة لأمثالها تعبت بالعقول وتزيد قارئها جهلاً الى جهل

طبع كتب العلم

قويت العزيمة على الاستكثار من طبع كتب العلم لما كثر تبرم الناس بتلك الكتب المضرة وزاد عدد المتعلمين على الطرق الحديثة، فأدرك العارفون قصورهم عن احياء كتب السلف، فطبعوا في مصر أسفار مالك والشافعي وابن حنبل وابي حنيفة والغزالي وابن حزم وابن تيمية وابن القيم وابن الجوزي وابن قتيبة والجاحظ وثابت بن قرة وحنين بن اسحق والآمدي والشاطبي والقرافي وابن رشد والباقلاني وابن عبد البر والسرخسي واخوان الصفا وابن جني وابن منظور وابن سيده الى عشرات امثالهم من علماء الأمة وحكامها وأدبائها ومؤرخيها ولغوييها. واختصت الهند بطبع كتب الحديث ورجالها وما شاكل ذلك من علم الكلام واللغة، كما تفردت ايران بطبع كتب الامامية بالعربية وغيرها، وزنجبار بطبع كتب الحوارج والاباضية، ودمشق وبيروت بطبع الكتب المتنوعة، وخصت أوروبا بطبع كتب العلوم كالطب والكيمياء والأقرباذين وجر الأثقال والزيجات والأرصاد والفلك والرياضيات والطبيعات والنبات والتاريخ والجغرافيا والرحلات واللغة والأدب والشرع وغير ذلك من العلوم التي نقلتها العرب عن أهل الحضارات

القديمة وزادت فيها ، او كانت وفقاً عليهم كعلوم القرآن والسنة واللغة والشعر . شرعت أوروبا من نحو أربعة قرون بطبع ما عثرت عليه من كتب الرازي والبيروني والبتاني والكندي (الفيلسوف والمؤرخ) وحنين بن اسحق والحوارزمي ونصير الدين الطوسي وعبد الرحمن الصوفي وابن النديم والفارابي وابن سينا وبوخنا ابن ماسويه والطبري واليعقوبي والدينوري والمسعودي وابن خلكان وابن الاثير وأبي الفدا والقزويني وحمة الأصفهاني والشريف الادريسي والمقدمي والاصطخري وابن حوقل وابن خرداذبة والهمداني والبلاذري والبكري وابن عذاري وابن سعد وابن سعيد ومسكويه وابن جبير وابن هشام والبيضاوي وعشرات من اضراهم مما لا يقل عن خمسمائة مجلد ، وكلها كتب مختارة بذلوا الوسع لمعارضتها على نسخ متعددة ووشحوها باختلاف الروايات وحل عويص مشكلاتها ، وزينوها بالفهارس ، وقربوا منال الانتفاع بها على المطالعين ، عملوا كل ذلك بأمانة وتدقيق وتحقيق ، وكانت الغاية من طبعها واحياؤها خدمة العلم ، وما قصر الهولانديون والألمان والطيلائت والفرنسيون والبريطانيون والروسيون والاسبانيون والبولونيون والاميركان وغيرهم في احياء كتب العلوم وطبع كتب اللغة والتفسير والحديث أيضاً

طلع القرن الرابع عشر من الهجرة ، وأهم مواطن طبع الكتب العربية في الشرق القاهرة وبيروت وتونس والاسطانة وحيدر آباد الدكن وطهران وفاس ، وجهلة الوراقين قابضون على قياد الطبع لا يهتمون بغير الكسب ، وقل من الكتب ما تولى تصحيحه العارفون ، ومنها ما نشرته الحكومة المصرية وبعض الجمعيات العلمية والدينية . وكان المؤلفون في بلاء من أكثر الوراقين يتحكمون فيهم ، ويستثرون جهودهم ، واذا أرادوهم على عمل فهارس للكتب تسهل على المطالعين تجهعوا لهم ، واذا اقترحوا عليهم أن يختاروا الجيد من أصناف الورق هزؤوا بهم .

جميعيات طبع الكتب

وهذا مادعا الى تأليف عدة جميعيات من العُبر على العلم ، ومن أعضائها الشيوخ الأجلاء ومنهم بعض أرباب المكانة في المجتمع المصري فلم يوفقوا في عملهم ، لما كانت بنقصهم من بعد الهمة والمشاركة في الثقافة ، والتجرد عن التعصب ما امكن في اختيار ما يطبعون ، وتألفت منذ أواخر القرن الماضي في مصر عدة جميعيات لهذا الغرض ، ومنها ما طبع بضعة كتب وانهمزم من الميادات ، ومنها ما قصد طبع كتاب بعينه فلما أتمه لم يحاول طبع غيره . وقد انحلت هذه الجمعيات لأنها لم تسر على نظام ثابت يضمن لها البقاء ، ولأن القائمين بها أرادوا حلها عجزاً عن المضي فيها ، ولأن الفردية تغلب على الشرقي فلا ينجح مجتمعاً وكثيراً ما يفلح منفرداً الفلاح كله .

وأنشأ بعض النابهين من المتعلمين على الأسلوب الحديث لجنة في القاهرة في سنة ١٩١٢ سموها «لجنة التأليف والترجمة والنشر» وما زالت تزيد رقيماً سنة عن أخرى ، تطبع الكتب الجديدة والقديمة ، وتعنى بالأنا تخرج مطبوعاتها قبل عرضها على جماعة من الاختصاصيين من أعضاء هذه اللجنة أو من غيرهم ، وأكثرهم معلوف وأساتذة وموظفون ، وقد طبعوا الى الآن أكثر من مائة وثلاثين كتاباً في الطبيعة والرياضة والفلسفة والتاريخ والأدب والاجتماع وغيرها ومنها ما يدخل في مجلدات ، ومنها ما هو من القطع الكامل ، ومن كتبهم ما نقلوه عن اللغات الاجنبية ومنها ما ألفه الأعضاء أو غيرهم ، فأثبتت اللجنة أن الشرقي اذا أحب العمل وأتقنه لا يقل عن الغربي .

يتنافس الناس اليوم في اقتناء المطبوعات الجيدة ، وكان المأمول أن يكتب لها الرواج أكثر مما تُقدّر لكتب المحون ، ومن هذه ما يطبع عشرات الألوف كالقصص والروايات ، ومنها ما لا يشبع الجمهور منه لأول نشره بأقل من عشرة آلاف نسخة ، وما يقال في الكتب يقال في المجلات — والمجلات أيضاً كتب

دورية — فان أرقى المجلات العلمية الأدبية باللغة العربية تطبع بضعة الوف ، ومجلات العامة تطبع العشرين والثلاثين ألفاً وربما أكثر من ذلك ، وما يروق الخاصة لا يروق العامة ، وخواص كل أمة أقل من عوامها . وكان لارتفاع فن الطباعة في الغرب دخل كبير في رقي المجلات العربية وما صارت اليه من التفنن في الطبع والتصوير . ولم يدخل على الكتب من هذا التحسين شيء كثير يناسب فائدة الكتب ، وتناسى السواد الأعظم ان الكتب تخلد وتورث وتتناقلها الأيدي أكثر من المجلات والصحف ، وهذه ما خرجت عن كونها ابنة يومها بل ساعتها .

أصناف الكتب

تقسم الكتب في مصر الى قسمين صفراء وبيضاء ، فالكتب الصفراء هي ما طبع على ورق اصفر من الجنس الردي ، وهذه يسمونها الكتب الأزهرية ، والبيضاء هي التي تطبع على ورق ابيض ، وهي كتب الجمهور على أنواعها وكتب المدارس النظامية ، والكتب الصفراء رديئة الطبع ، رديئة الوضع ، تشوش القارئ وتبغض اليه المطالعة ، بما تحمل من هوامش وهنات ينبو عنها النظر ، والعكس في الكتب البيضاء المشرفة فانه تستجد لها الحروف والورق وهي خالية من الهوامش الا ما كان منها داخلاً في الموضوع ، وقد تبذل العناية بصحيحها أكثر من الكتب الصفراء .

دب الكساد في الكتب الصفراء قليلاً ، وكتب الرواج مع الزمن للكتب البيضاء ، بقاعدة بقاء الأنسب ، وبما دخل من التحسين على أذواق الأمة ، وما برح مع هذا بعض الطابعين بمصر يجوزون لأنفسهم طبعها كما يطبعون كتب التضييل والتدجيل ، يصدرونها الى بلاد الزوج في أواسط افريقية والى بلاد المالايو ، يطبعون منها مقادير يرسم التصدير الى الخارج غالباً ، ولو كان لي من الأمر شيء لجرمت كل من يجرؤ على طبع مثل هذه الأسفار المضرة بالعقل والدين ، ومضرتها لا تقل عن كتب المجون والسفاهة ، وكتب الاحاد والاباحة ، ذلك لأنها تباع على انها كتب دين ، والدين لا يعرفها وليست منه بسبيل .

مضار الكتب الساقطة

لا جرم ان من يبيع من الجهلاء كتباً تزيدهم جهلاً وغباءة كمن يحمل
 المخدرات الى السذج ويزين لهم استعمالها ، او كساقٍ يسقي السم الزُعَاف لمن يطلب
 اليه ان يسقيه ماء قراحاً ، وليست كتب الجهالات في تخريب العقول بأقل من
 تخريب المخدرات والمسكرات في الأجسام . الحكومات تخاف من كتب فيها
 ما لا ترضاه سياستها ، ولا ترى واجباً عليها أيضاً أن تحظر على الطابعين طبع المضر
 من الكتب ، لئلا يحملوا الى القراء كتباً غير محورة ولا معتبرة ، فان هذه
 بالنسبة لجمهرة الأمة لا تقل مضارها عن تلك

ربما يقول بعضهم ان هذا مما يفتح للحكومة باب التدخل في حرية النشر
 وسلب حق الناس في الحرية . وما كان لأمة لا تعرف مالها وما عليها ، وما يصلحها
 وما يفسدها ، وليس لها من نفسها مراقب ولا محاسب ان تتمتع من الحرية بالمقياس
 الواسع ، وخير أن يرجع في النشر الى قاعدة من ان تطفى هذه الفوضى على ما
 يطبع ، وترجع الأفكار الى عصور الظلمات ، وينقطع الأمل من تأليف امة
 منورة متجانسة حتى بعد قرون .

مظاهر الكتب وترويجها

وبعد فقد كان في الامكان الاستعاضة عن هذه التجارة المحرمة في الكتب
 بتجارة محللة فيها بطبع الكتب المفيدة ، فان ما يطبع في مصر من الجيد تروجه شهرتها
 في الأقطار ، وتزيد الكتب رواجاً بين مختلف الطبقات بقدر ما يتقن الطابعون
 طبع ما يطبعون من الكتب وينتقون أسفارهم ، ويبدلون العناية بالتصحيح والتهذيب .
 وقد رأينا بأخرة بعض الطابعين تنصرف همهم الى الخروج عن الطريق القديمة
 بعض الشيء كأن يقلدوا الطابعين في ديار الغرب بعنايتهم واتقانهم ، ويجعلوا فهارس
 للكتب ، ويتوقوا الأغلاط المطبعية في الجملة ، فزادت بذلك كتبهم حرمة وقبولاً .

جمال الكتاب وطبعه مما يزيد الرغبة فيه ويزينه في الأعين ، وفي العادة أن كل بضاعة تبرز في قالب مقبول صنماً ووضعاً تحتل من النفوس أحسن موقع ، فما الحال بالكتب التي هي أكثر البضائع اعتباراً وخلوداً ، ولقد بلغ حب الاثقان من أهل الغرب ، وحب الاعلان عن كل شيء أن عهدوا الى مفتنين عرفوا بسلامة الذوق وسعة الحيلة ، ليصفوا بضائعهم صفاً يلفت الأنظار ، ويعلنوا عنها في الصحف وغيرها بما يبعث العزائم على اقتنائها ، وإن لم ترغب في ذلك كثيراً ، فهل عيننا نحن بكتبنا وقدرنا أنها على الأقل بضاعة من البضائع تحتاج لمن يروجها ؟ إن الكتب العربية تحتاج الى أن تأخذ حظاً من الاثقان اللازم ونهياً لها من طرق الدعاية والنشر مثل ما يهيمه الطابعون والوراقون في البلاد المتدنة لنشر مطبوعاتهم . ولو كانت كتبنا اسفاط جواهر مخبوءة في مستودعات الطابعين ما تنبه الناس لها بدون اعلان ولا دعاية .

بعض طرق الغريبين في نشر الكتب

في يوم واحد ينشر الوراق الانكليزي ^(١) الكتاب الجديد في كل بلد تقرأ فيه اللغة الانكليزية من أصقاع الغرب والشرق ، وفي يوم واحد تكتب الصحف والمجلات نقد الكتاب وتقريظه وتلفت الأنظار اليه ، وفي يوم واحد يقرأ هذا الكتاب ابن بريطانيا العظمى وابن اليابان وابن كندا وابن استراليا وابن زبلاندة الجديدة وابن الولايات المتحدة وابن الهند ونزبل جنوبي افريقية ومصر والسودان . والوراق الانكليزي لا يرضى لترويج كتبه بين القراء بكل ما في وسعه ، ينشرها بكل حيلة ، وكذلك سائر الوراقين من جميع الأمم المتمدنة ، فعلى أن ندرس طرائقهم ، وعلى الوراقين عندنا ألا يرضوا بخمسة أو عشرة في المئة يضمنونها على نفقات

(١) ان مما قرأناه في هذا الشأن كتاباً هل الى الفرنسية من الانكليزية في حقيقة الطبع لمؤلفه ستانلي اونون واسمه Stanley Unwin : La vérité sur l'édition و « الكتاب » لالبرسيم

الطبع للإعلان عن مطبوعاتهم ، فيخدمون بذلك أنفسهم ويخدمون المؤلف ، ويخدمون المدنية والمعارف .

قصور وراقينا في النشر

وإننا لنجد الكتاب الذي يصدر في مصر لكثرة تدنيق بعض الوراقين في النفقات قد لا يصل الى البلاد العربية في أقل من سنة . يعتمد الكتيبي في ترويج كتابه على الطبيعة والمصادفات أكثر من اعتماده على التذرع بذرائع النشر الكثيرة ، وربما طبع الكتاب الجيد وما عرف به من بهمهم اقتناؤه الا عرضاً وبعد سنين تمضي على نشره ، فهل يحق بعد هذا لورّاق أن يشكو من قلة الرواج ؟ والرواج بيده ، ولو بذل القليل لرجح الكثير . ولو صرفت العناية بالإعلان عن الكتب وترغيب الناس فيها وعرضها في المدن والقرى وتحيب اقتنائها للرجال والنساء والأطفال لزاد عدد المطبوع والمبيع من كل كتاب قديم أو حديث ، ولقلّ بهذا العمل عدد الغاميين في البلاد العربية جمعاء ، ولا يمضي عشرون عاماً حتى لتغير تصورات الناس وأخلاقهم وآدابهم ومناهجهم في الحياة . بيد الطابع وبيد المؤلف نشر حضارة أمة فليُنظر الوراقون ماذا يعملون ، ولتعمل الحكومات الواجب عليها نحو الطابعين ، ولتراقبهم لما فيه مصلحتهم ومصلحة الجماعة .

نحن في أشد الحاجة الى التجدد في مطبوعاتنا ، وإن تجدد في مظاهر الطبع من حروف وأشكال وصور ، وقطع وورق وتجليد ، وتجدد في المبالغة بتصحيح الكتب والتعليق القليل بما يبين غامضها ، فليس كل الناس يفهمون ما يقرؤون ، فعلينا أن نسهل عليهم فهمها ، كأن نشكل دائماً محال الأشكال من الألفاظ ولا نترك غامضاً ولا مبهماً ، ونحن إذا فعلنا هذا لا نفش المطالع بل نستميله الى الأكثر من المطالعة . وإذا صنا كتبنا عن تلقين المبتدئين أغلاطاً تنأصل في عقولهم فتؤذيها نصوص الدين والآداب والمدنية ، ولا تقل التبعة الملقاة على عواتق الطابعين عن التبعات اللاحقة بالخامكين والمسيطرين .

نقابات طبع الكتب

نحتاج الى التجديد في طرق النشر، ولا يتم ذلك الا بانشاء نقابة او نقابات تفكر في اقرب السبل الى الاتقان والنشر والربح، وتصدر مجلة توزعها مجاناً على دور العلم ورجاله وطلابه، تفيض في الكلام على ما صدر ويصدر من الكتب، وعلى ما في القديم منها من الحسنات وغيرها فتكون خير اعلان لما طبع ويطبع، وأصدق مرشد لمن اراد ان يقتني الاطياب من الاسفار، ولا ينفق فيها اكثر مما تمكنه حالته من انفاقه، ويباع على ان يكون له منها مع الزمن خزانة خاصة يستفيد منها هو وأولاده وأحفاده.

العصر عصر الشركات، وقد رأينا الطابعين او الوراقين الذين ضعفت رؤوس أموالهم لا يأتون شيئاً يعتد به في هذه التجارة، ورأينا المطابع الكبرى او الشركات الممولة المنظمة في عملها ترجح كثيراً وتفيد اكثر من غيرها. فاذا اجتمع الوراقون في مصر مثلاً، وألفوا شركة او شركات يدخل فيها فقراء الوراقين وغيرهم تنغير أشكال الطبع وأشكال الاسفار، وتخف شكوى المتجولين بالكتب من قلة الرواج، وشكوى المؤلفين والمترجمين والمصححين، وشكوى القراء من سخافة المطبوع والمنشور، وشكوى الكتب من الكساد، وتدخل في طور اتقان وعناية على النحو الذي نراها عليه عند اصغر أم الحضارة لهدنا.

سبيل رواج الكتب

بتوهم بعض الوراقين عندنا ان الاشتطاط في الربح يوصل الى الغرض من هذه التجارة، ونسوا ان الربح القليل من شيء كثير أعود عليهم من ربح كثير من شيء قليل، ولو ادركوا ذلك ما توقفوا عن تغيير أساليبهم في الطبع والنشر وتقدير الربح، ولا يقنوا أن من مصلحتهم المهادنة في الأسعار والعناية بتجويد بضاعتهم. ولكتاب يطبعه طابعه ويبيعه في مدة قصيرة أنفع له من كتاب يبيعه في المدد الطويلة

ليربح منه ما يقدره لنفسه من الأرباح ، وهذا من أيسر قواعد التجارة التي يعرفها الأطفال في الغرب فعلى الرجال أن يتعلموها عندنا .

من جملة طرق الرواج في الكتب جودة طبعها وحسن خدمتها ، ونقصد بخدمتها المبالغة بتصحيح أصولها وتجاربها ، وحل المشكلات من متونها وشروحها ، فقد كان الطابعون فيما مضى ينوّمون أن كل مخطوط صحيح صالح للطبع لا يحتاج الى أكثر من ان يدفع الى المنضد لتنضيد حروفه وترتيب صفحاته ، ويجعل على الآلة الطابعة تخرجه ملازم ملازم . والكتب التي تطبع لأول مرة والتي يتكرر طبعها تدفع الى رجل أزهرى اذا كان على شيء من العلم فيكون من الطبقة التي تعرف الاعراب فقط ، وليس النحو والصرف كل شيء في عالم العلم .

الفرق بين الغربيين وبيننا في الطبع

رأينا كتباً طبعها أعاجم من الغربيين وهم علماء فخرت صحيحة سالمة من الشوائب ، على ضعف ناشرها أحياناً في القواعد وبعدهم عن حفظ الدساتير ، ورأينا اسفاراً طبعت في اتقن المطابع بعناية أقدر المصححين تفيض بالأغلاط ، مثال ذلك تاريخ ابن خلدون المطبوع في المطبعة الاميرية ، لو تصفحته لتعودت بالله مما فيه من تحريف الأعلام ، وسقطاته كثيرة قد تكون كلمة او اسطراً او صفحات ، ولا يتخلو صفحة منه من بضع غلطات شائنة تحرف النص وتحيل المعنى ، وظن مصححوه أن ما يعرفونه من قواعد الاعراب كافٍ في تصحيح مثل هذا الكتاب . وإلى اليوم تقع لأعظم المطابع خطراً اغلاط من هذا القليل تحمر لها الوجوه ، والواجب على من يعرف صنفاً من العلوم ألا يظن نفسه انه يحسن الاضطلاع بجميع الأصناف . ولعل احد الباحثين يضع لنا كتاباً فيه متاع وعبرة ، يلزم فيه بأغلاط المطابع ، ويدون لنا ما يكتبه المصححون في اول الكتب وآخرها من مدح الطابع ومدح من طبعت في أيامه ، كأن طبع كتاب عدل لفتح قلعة او ثغر ، او اعمار بلد او قطر .

تصحيح الكتب المطبوعة مسألة المسائل في فن الكتب ، وكمن كتاب قديم

طبع على نسخة واحدة في بلادنا وزاده جهل الطابع والمصحح أغلاطاً الى أغلاطه ، وقالوا لقارئه انت وشأنك في هذا الكتاب ، ذلك لأنه قلَّ أن يُعنى أرباب المطابع باختيار مصححيهم ، يخارون أكثرهم من المرتزقة ، من الصنف الذي يصحح المزمة ببضعة قروش ، ولو أعطى الطابع مصححاً يكون على شيء من العلم المثلث لما كان مغبوناً ، ولهان على من يتناولون الكتاب ان يقننوا ما أتقن طبعه وعُني بتصحيحه ، وان يعطوا زيادة عشرة في المئة تضاف على قيمة الكتاب

كان تحريف جهلة الناسخين للكتب وتحريفها بصنع جهلة الطابعين مما أضاع على طلاب العلم أوقاتهم لينوفروا على اصلاح ما كان واجباً على غيرهم أن يصححه ، وينهبون وهم مثات ، وكان الأولى ان ينب واحد او اثنان ولا يشغل الناس بالعبث ولا تباع منهم مجموعة اغلاط . اي كتاب لأجدادنا طبعه مطبعة من مطابعنا التي نعدّها راقية قبل هذا العهد الجديد ، ولم تخص عليه الأغلاط الكثيرة حتى الأمهات من كتب الشرع واللسان ؟ وأي كتاب طبع فأنتق الطابع على تصحيحه مالا ، وهو يعتقد ان واجبه ان يعمل هكذا بكتابه ؟ ليت كل وراق يعرف ان ما يصرفه في تقويم الكتاب لا يعدُّ مالا ضائعاً بل لابد منه لرواج كتابه ، والامانة تقاضاه ذلك .

عبث الطابعين الجهلة بالكتب

ان من اعظم البلاء ان تتقدم العامة فتتولى طبع الكتب ، وما كان اجدر بالخواص ان يعمدوا وحدهم لمعاينة هذه الصناعة ويرقوها بكل ما عند من سبقهم الى الحضارة بأنواع الترقى ، ويقاروا على تجديدها كما يقار المرء على حرمانه ومقدساته . نعم ان بعض الوراقين اليوم في مصر هم من الأمنين حقيقة لا يعرفون ما يطبعون وما يطبع لهم . وما ينتظر من أمي ان يقوم به في باب العلم ؟ ومنهم نصف أميين وهؤلاء بلاؤهم أشد ، هم جاهلون ويدعون المعرفة . ولو كانت حكوماتنا تفكر أبداً في نهوضنا العلمي لما سمحت لرجل ان يطبع كتاباً وينشره الا اذا كان حاملاً

شهادة من المدارس الوسطى على الأقل ، فضرر الكتي الجاهل لا يقل عن الضرر الذي يأتي على يد الصيدلي الجاهل .

ومما تألم له النفس ألا يكون عمال المطابع على شيء من المعرفة وألا يُغيثوا من الشباب الدارسين . وقد شهدت اعظم المطابع الراقية في هذا الشرق القريب تختار صيائناً نصف أميين لتنفيذ الحروف وعمل سائر ما يتعلق بالطبع ، ارادة الاقتصاد من أجورهم ، فيتعب بذلك المصحح كثيراً بتقويم التجارب ، ولا يخلو المطبوع معها صحح من غلطات تبقى بعد معاودة الاصلاح مرات ؛ ولو كان المنتضدون يحسنون فعم الكلام لاكتفى الطابع بتجربة واحدة .

واشهد أني أفضل ان ابتاع كتاباً عربياً طبع في الغرب من كتبنا القديمة بعشرين أو ثلاثين ضعفاً عما يباع به مثله من الكتب المطبوعة في الشرق ؛ لأنني اجد في ذاك من المحسنات وكل ضروب الاستفادة والتيسير ما لا اجد في طبعاتنا ، ولا أجد في الكتاب المطبوع في ربوعنا على الأكثر الا بشاعة ورقاكة ، وأغلاطاً لا تجد لها اولاً ولا آخرأ . وقد اقدم بعض طابعي الكتب الصفراء في العهد الأخير على تحسين نوع الورق والحروف وجادوا بعض الشيء على المصححين فنشروا كتباً خرجوا بها بعض الشيء عن مألوف ما كانوا طبعوه وطبعه آباؤهم ، وأهم ماعملوا أنهم وسدوا النظر في الكتاب الى عالم فخرجت كتبهم عن أسلوب الكتب التجارية ، وصارت تعد في كتب العلم ، واطنهم ما خسروا بما عملوا بل نفخوا وانتفعوا ، فاذا خطوا خطوة أخرى الى الأمام وعدلوا عن صيغهم القديمة سيئ الطبع سيمحمدون ولا شك غب عنايتهم ، يبدؤون في الطباعة عهداً جديداً فيه الخير لهم وكل الخير للمدرسين والدارسين .

لجان علماء للنظر في الكتب

هكذا يوم نرى فيه كل مطبعة كبيرة تمهد الى لجنة من الخبراء والعلماء للنظر

في كل ما تطبع ، وتراقب الكتاب من وضعه وتأليفه الى صف حروفه الى وضع صفحاته الى تصحيح ملازمه الى طبعها الى طيها الى جمعها وضمها كتاباً برأسه . هذا اليوم الذي نقضي به هذه اللجنة على صاحب المطبعة ان يعمل بقرارها لرواج مطبوعاته ، واختيار ما يعم الناس نفعه ، هو اليوم الذي يكون في تاريخ الطباعة بدء عهد جديد ، بل عهد حضارة ما سبق لنا نظيره منذ أخذنا نطبع الكتب ونقلد الغرب .

نعم ان طبع الكتب يحتاج الى مراقبة شديدة أهمها ألا يطبع شيء قبل أن تنظر فيه لجنة نقر نفعه ، فان المكررات من الكتب التي لدينا من نوعها الأهميات المتعبة ، وكتب التخريف والتافهات ، وكتب المحجون والغراميات وغير ذلك لا ينبغي من آفاتنا الا سلطان المراقبة الشديدة في كل كتاب للقدماء والمحدثين فلا يطبع برأي طابع لا رأي له الا النفع المتوخى من الكتاب ، وغايته الوحيدة الاكتساب المرجى منه ، ولو بالقضاء على العلوم والآداب ، والاثبات على الفضائل واحياء الرذائل ، وشغل الناس بالسخف والهراء ، وما كنت أؤثر التوسع في هذا الموضوع لولا أن ايراد الأمثلة ضربة لازب لتجلية المراد .

مثال من سخف الكتب المطبوعة

لو عرض طابعا كتاب « حلية الأولياء » للحافظ ابي نعيم الأصفهاني المتوفى سنة ٤٣٠ على عالم بالكتب والمؤلفين قبل ان يتكلفا طبع كتاب عظيم مثل هذا يقيم في عشرة مجلدات وتبلغ صفحاته اربعة آلاف صفحة - لقال لها انت هذا الأصل الذي طبعتماعنه وقع في الغالب الى يد أحد الجهلة فأضاف الى كل ترجمة من عنده صفحات ما انزل الله بها من سلطان ، وما كانت من كلام المؤلف ، وكتابه قد شهد له الثقات بالجودة ، وهذه الاضافات تقدر في جودته لو كانت من المؤلف ، وقرأها من شهد للكتاب بالاجادة . وهاكم مثالا من مئات الأمثلة من

هذه الزيادات التي شوهت الأصل ، وجعلت الكتاب على ما فيه من الفوائد جعبة ترهات ورقاعات .

من ذلك (ص ١٠ ج ١) وهم (اي المتصوفة) المصونون عن مراعاة حقارة الدنيا بعين الاعتراض ، المبصرون صنع محبوبهم بالفكر والاعتبار (٢٨ - ١) بدأنا بذلك من اشتهر من الصحابة بحال من الأحوال ، وحفظ عنه حميد الأفعال ، وعصم من الفتور والاكسال ، وفضل الله له العهود والحيال ، ولم يقطعه سامة ولا ملال . ونحن نقول : ان هذه العبارات المفككة المرتبكة تنادي بلسان الحال والمقال ، انها من اسخف ما دونته الأجيال ، في تراجم الرجال ، وانها املاء دجال لا يخاف الله بحال .

(٣١ - ١) وقد قيل ان التصوف السكون الى اللهب في الحزين الى الحبيب (كذا) (٣٣ - ١) ان التصوف استنفاذ الطوق ، في معاناة الشوق ، وتزجية الأمور ، على تصفية الصدور (٣٩ - ١) وما عهد منه (سيدنا عمر) في ملازمته للتفريد ، ومحاماته على معارضة التوحيد ، وان لا ينهنه عن مصاولتهم العدة والعديد .

(٤٨ - ١) وكان (عمر) عن فناء الملاذ منتبهاً ، ولباقي المعاد منتفياً ، بلازم المشقات وبفارق الشهوات وقد قيل ان التصوف حمل النفس على الشدائد الذي هو اشرف الموارد (٦٢ - ١) التصوف مراعاة المودود ومصارمة المودود (٦٨ - ١) التصوف اسلام الغيوب الى مقلب القلوب (٧٠ -) التصوف الارتقاء في الأسباب الى المقدرات من الابواب (٧٢ - ١) التصوف البروز من الحجاب الى رفع الحجاب (٨٧ - ١) التصوف التزوح بالأحوال والتجفف من الاثقال (٨٩ -) التصوف الوفاء والثبات والتسامح بالمال والجدات . في ترجمة مصعب بن عمير الداري (١٠٦) ورغب عن التريف والتسويق ، وغلب عليه الحنين والتخويف وقد قيل ان التصوف طلب التأنيس في رياض التقديس (كلام لا معنى له) وأيضاً (ص ١١٠ - ١) التصوف المفرق بينونة الى مقر الكينونة ! (١١٢ - ١) التصوف اقامة الدنف المعذب على حفاظ الكلف المهذب ! (١١٨ - ١) التصوف الوطى على جمر الغضا الى منازل الأنس

والرضا (١٢١-١) التصوف استنشاق النسيم والاشتياق الى التسليم ! (١٢٤-١)
التصوف مشاهدة المشهود ومراعاة العهد ومحاماة الصدود ! (١٢٩) تصحيح المعاملة
لتصحيح المنازلة ! (١٣٩-١) التصوف تسور السور الى التحلل بالخور ! (١٤٧)
التصوف قطع العلائق ، والأخذ بالوثائق (١٥٧) التصوف التأله والتدله من
غلبات التوله .

ياسيدي القارىء الكريم يربك اعذرني على نقل هذا الهراء ، ولو أردت لنقلت
من هذه السخافات المضحكة المبكية مئات ، دسها الداسون في كتاب حاول مؤلفه
أن يترجم لنسك الأئمة فاختلط سمينه بغث ذاك العايب . وربما تسأل القارىء
وكيف لم يهتد الطابعان الى ما شات الكتاب ؟ فالجواب هذا من عمل العلماء
لا من عمل الطابعين ، ولو وقع الأصل لعارف ما تلكأ لحظة عن القول بما قلناه
في هذه النقول ، وانت لو فحمت أي ترجمة لما رأيتها على الأغلب تخلو في
مقدمتها من مثل هذا الهذيان . وبالله بعد ان عرفت درجة الحافظ ابي نعيم في
العلم هل تجوز عليه أن يقول : ومنهم الذاكر الفكري ، خليل بن عبد الله العصري ،
كان لمحبوبه ذاكرآ ، والى مشاهدته ساهراً ، وان تقول ان هذا تصوف . وبالله
لا يقول هذا الا من اختل ذهنه باجماع اطباء الامراض العقلية . الا يستحق ان يأوي
الى مستشفى المجاذيب من يقول (ص ٢٥٨ ج ٢) التصوف عويل حتى الرحيل وحويل
الى المقييل (٢٩٠ ج ٢) التصوف التمتع بالحضور والتبتع للخطور (١٨٣- ج ٢)
التصوف الصفو للزيق والرفو للفيق !

واي هذيان اعظم من هذا الهذيان ينشر في هذا الزمان منسوباً الى رجل
من رجال الحديث المشهورين . ألا يوافق العقلاء بعد ذلك على تأليف لجان علمية
تنظر فيما يطبع قبل أن يضيعوا وقت الناس ويؤذوا عقول ناشئتهم واذهان القراء
ولا أحب أن اختتم هذه العجالة قبل ان أشير الى كتاب آخر ارتكبت
في طبعه فقط مثل هذه السخافات ، عنت به « البداية والنهاية » لابن كثير . فقد

طبع منه حتى الآن اثنا عشر مجلداً بالقطع الكبير لا تتل عن ثلاثة آلاف صفحة وبقي منه أربع مجلدات ووقع على ما يظهر في أبدي مصحح لا يعرف التاريخ ولا يعرف الأدب ، حتى ليخجل البنا ان مصححه منضد حروف او فراش في المطبعة يرزق كل يوم خمسة قروش . هناك أسماء الأعلام محرفة تحريفاً مخجلاً حتى أنك تقرأ العلم على صورة في صفحة من الصفحات فإذا قطعت صفحتين أو ثلاثاً تقرأه على شكل آخر وهو هو ، وكذلك الآيات الشعرية ، اجارك الله من تحريفها فانك اذا تلوتها تعاف الشعر وتنكر الأدب ، فاف كثيراً منها لا يفهم ، وبعضها لا وزن له مطلقاً ، كأن الناظر فيه من طبقة العوام لا يحسن الوزن ولا يعرف المعنى . الا يجدر بمثل هذا الكتاب الذي يكلف طبعه المئات من الجنيهات أن يصرف على تصحيحه عشرات من الدنانير ويعهد بتصحيحه الى أناس يحسنون فن الأدب وفن التاريخ ، ولا يكتفي منهم ان يعربوا جملة صحيحة ، ويقرأوا عدة مقاطع بلا غلط ؟ ان طبع هذا الكتاب على هذا النحو بعد جناية على الأدب وتجنياً على العلم والمعارف ، وبه ثبت ان كل شيء يتبدل في العالم الا عقول اكثر الطابعين في مصر فانها جامدة لا تتحرك ولا تحاول ان تتحرك .

الأمثلة كثيرة في هذا الباب وقد مثلنا لذلك بما حضرنا من امثلة ، ويرى القارئ النقاد ان هذا الموضوع جليل في ذاته يجب أن يعاناه الدارسون والمدرسون والعالمون والمتعلمون وكل من يهتمون للحياة العلمية في الأمة العربية ، ونحن الآن اذا قصدنا الطابعين فقد تقدنا من قبل المؤلفين ، وكل ذلك بسائق الغيرة على اوضاعنا وحضارتنا وحجاً بالتجدد وبعداً عن الجمود .

هذا وقد رأينا بعض النفوس تزهد في الكتب بعض الزهد وتستغني بعض الاستغناء عن القراءة ، ومن ارتقى عقله يستحيل عليك ان تضطره الى قراءة مثل حلية الأولياء بهذه الزيادات عليه . الناس مأخوذون بما هم محكومون له من التفتن في طرق النشر الحديثة من صحف ومجلات ومذياع ، وهذا ما يدعو الى التفكير

كثيراً في مصير الكتاب والعقبات التي ستقوم في مستقبل الأيام أمامه من أجل رواجه ، وانا ليؤسفنا ان نرى الكتب وما يطبع منها لا يزيد مقدار المطبوع منه كثيراً بالقياس الى ما وصلنا اليه من الحضارة ، فالكتب لم تَرْجُجِ الزواج المطلوب بل وقفت عند حد لم نتقدم فيه الى الأمام كثيراً ، ذلك لأن ما كان يرجى أن يزيد عدد المطبوع منها بكثرة قارئها قد اخذته الجرائد والمجلات ولا سيما المجلات التي لا تعني كثيراً بمسائل الجد ، فكان من ذلك ان شغل جمهور كبير من محبي المطالعة بالتافهات والهزليات ، وكان آباؤهم بالأمس يصرفون كل وكدهم في اقتناء كتب الجد المخطوطة ، وبفاخر حتى العوام بما اقتنوا أو ورثوا من كتب يحتفظون بها كما يحتفظ غواة العاديات اليوم بعادياتهم ولا ينزلون عنها لغيرهم ولو افتقروا .

محمد كرد علي

ما ألف عن النساء

سمرنا ليلة عند صاحب لنا أدب ، فنفضنا الأحاديث نفضاً ، ثم ملنا الى ذكر النساء وأخبارهن والعرب وآرائها فيهن ، وكان في مجلسنا متأدب أخذ اللغة عن الأعاجم فنهج نهجهم في آرائه ، ونحنا نحوم في تفكيره ، فوهم أن العرب والمسلمين قد استخفوا بالنساء فلم يحفلوهن أو يعنوا بهن ، ولم يخصوهن بالتأليف أو يفردوا لهن التصانيف ، وأيد وهمه هذا بأقوال بعض المستشرقين .

وقد أردتُ تتبع هذا الزعم بالرد لتبيان وهنه ووهيه ، واستقرأت ما استطعتُ استقراءه من تراث الإسلام والعرب ، فإذا فيه تأليف حسان وتسانيف ملاح ، خصوصاً بالمرأة وجنسها ، وجلوا فيها عن أسرار وأخبار ، ولم يدعوا امرأة أدر كوا صلته بهن الا تكلموا عليه وبحثوا فيه .

ولو أن هذا التراث العظيم كان قد سلم ، لرأينا من لطائفه وطرائفه كل معجب مطرب ، ولسمعنا من أخبار النساء وأحاديثهن وأسرارهن وشذوذهن كل رقيق جميل .

١ - فقد ألف عنهن في الجاهلية كتب كثيرة منها :

١ - كتاب « الموءودات » ^(١) لهشام بن محمد الكلبي النسابة الأخباري (٢٠٦)

٢ - كتاب « المعروفات من النساء في قريش » ^(٢) لابن الكلبي أيضاً

٣ - كتاب « مناكح أزواج العرب » ^(٣) له أيضاً

٤ - كتاب « المردفات من قريش » ^(٤) لعلي بن محمد المدائني المحدث

المتكلم (٢٢٥)

(١) معجم الادباء ١٩/٢٨٨ - ٢٩٢ (طبعة دار المأمون) . والنهرست ص ٩٦

(٢) المصدر السابق (٣) النهرست ص ٩٧ (٤) معجم الادباء ١٢ - ١٣٣ .

- ٥ - كتاب «الكليات» ^(١) له أيضاً
- ٦ - كتاب «بغايا قريش في الجاهلية» ^(٢) للبهيم بن عدي الراوية الأخباري (٢٠٩)
- ٢ - ثم خصوا نساء النبي وأمهاته بالرضاع وبناته بعدد من الكتب لا يحصى منها:
 - ١ - كتاب «أمهات النبي» ^(٣) للمدائني الذي مر ذكره
 - ٢ - كتاب «أمهات النبي» ^(٤) لابن الكلبي
 - ٣ - كتاب «أزواج النبي» ^(٥) لمحمد بن عمر الواقدي (٢٠٧)
 - ٤ - كتاب «بنات النبي وأزواجه» ^(٦) لأحمد الرقي الراوية الحافظ الثقة .
 - ٥ - كتاب «أزواج النبي» ^(٧) لمحمد بن عمر المعروف بابن القوطية وكان نحوياً لغوياً أديباً شاعراً (٣٦٢) .
 - ٦ - كتاب «أزواج النبي» ^(٨) لابن الكلبي .
- ٣ - وتكلموا على نساء المسلمين ممن أوتي الشهرة والملك في كتب شتى منها:
 - ١ - كتاب «أمهات السبعة من قريش» ^(٩) لمحمد بن حبيب وكان من علماء بغداد ومهرة مؤديها (٢٤٥)
 - ٢ - كتاب «أمهات الخلفاء» ^(١٠) لابن الكلبي
 - ٣ - كتاب «من تزوج من نساء الخلفاء» ^(١١) للمدائني وغيرها .
 - ٤ - ثم ألفوا في أخبار النساء كتباً كثيرة بينوا فيها أحوالهن وطبائهن وطرق معاشتهن . وأوصافهن وما يعجبهن به أو يعرضن عنه وما قيل فيهن أو روي عنهن منها :

(١) التراث ١٠٢ . ومجمع الادباء ١٢ - ١٣٢ (٢) مجمع الادباء ١٩ - ٣١٠
 التراث ص ١٠٠ ، وانظر وفيات الأعيان ج ٢ . (٣) مجمع الادباء ١٢ - ١٣٣
 (٤) التراث ص ٩٨ (٥) التراث ص ٩٩ (٦) مجمع الادباء ٢ - ١٣٣ . وانظر الصندي
 في الوافي ج ٢ ق ٣ ص ٢١٩ . (٧) مجمع الادباء ١٨ - ٢٧٥ (٨) التراث ص ٩٧
 (٩) مجمع الادباء ١٨/١١٥ - ١١٧ . التراث ص ١٠٦ . (١٠) التراث ص ٩٨
 (١١) التراث ص ١٠١

- ١ — كتاب « النساء » ^(١) للجاحظ (٢٥٥)
 - ٢ — كتاب « النساء » ^(٢) للبيهقي بن عدي (٢٠٩)
 - ٣ — كتاب « النساء » ^(٣) لحفص بن عمرو العبدي ذكره ابن النديم
 - ٤ — كتاب « أخبار النساء » ^(٤) لهارون بن علي النخعي وكان أديباً شاعراً رواية نديماً
 - ٥ — كتاب « أخبار النساء » ^(٥) للمدائني
 - ٦ — كتاب « أخبار النساء » ^(٦) للرقبي
 - ٧ — كتاب « النساء » ^(٧) لابراهيم بن القاسم القيرواني ، وكان شاعراً رفيقاً (٤٠٠) قال ياقوت « إن كتابه عن النساء كبير »
 - ٨ — كتاب « أخبار النساء » ^(٨) لابن حاجب النعمان ، عبد العزيز بن ابراهيم ، وكان يملك خزانة لم يُر مثلاً لأنها كانت تحوي على كل كتاب عين .
 - ٩ — كتاب « النساء والغزل » ^(٩) لمحمد بن خلف بن المربان
 - ١٠ — كتاب « النساء والغزل » ^(١٠) لابن قتيبة العالم الاديب المؤرخ (٢٢٦)
 - ١١ — كتاب « أخبار النساء » ^(١١) لعلي بن محمد بن الشاه الظاهري .
 - ١٢ — كتاب « من وصف امرأة فأحسن » ^(١٢) للمدائني
 - ١٣ — كتاب « أخبار النساء » لابن قيم الجوزية (مطبوع)
 - ١٤ — كتاب « أخبار النساء » لابن الجوزي (مخطوط في الظاهرية)
- ٥ — ثم أخذوا يؤلفون في الموضوعات الدقيقة الخاصة بهن . فبينوا احوالهن الدينية في كتب شتى منها :

١ — كتاب « الحيض » ^(١٣) للقاسم بن سلام امام اهل عصره في كل فن من العلم (٢٢٤)

- (١) معجم الادباء ١٦ — ١٠٧ . (٢) معجم الادباء ١٩ — ٣١٠ . والفهرست ص ١٠٠
 (٣) الفهرست ص ١٠٠ . (٤) معجم الادباء ١٩ — ٢٦٢ . (٥) معجم الادباء ١٢ — ١٣٣
 (٦) معجم الادباء ٢ — ١٣٣ . (٧) معجم الادباء ١ — ٢١٩ . (٨) الفهرست ص ١٣٤
 (٩) الفهرست ص ١٥٠ . (١٠) الفهرست ص ٧٧ . (١١) الفهرست ص ١٥٣ .
 (١٢) معجم الادباء ١٢ — ١٣٣ . (١٣) معجم الادباء ١٦ — ٢٦٠

٢ - كتاب «العدة» ^(١) لمحمد بن ادريس الشافعي (٢٠٤)

٣ - كتاب «الرضاع» ^(٢) له أيضاً

٤ - كتاب (الطلاق) ^(٣) له أيضاً

٥ - كتاب (الشغار) ^(٤) له أيضاً

٦ - كتاب (الصداق) ^(٥) للمدائني

وهذه الكتب وافرة اكثر من ان تحصى فلتتمس في الفهرست .

٦ - وقد افردوا للتزين والتجمل والتحلي كتباً كثيرة ذلك لأنها أمور

ذات شأن عند النساء ، ومن هذه الكتب :

١ - كتاب (الثياب والحلي) ^(٦) لأحمد بن سعد ابو الحسين الكاتب الشاعر

٢ - كتاب (الحلي) ^(٧) لأحمد بن فارس اللغوي (٣٦٩)

٣ - كتاب (الزينة) ^(٨) للراقي

٤ - كتاب (التزين) ^(٩) له أيضاً .

٥ - كتاب (نغر المشط على المرأة) ^(١٠) لملي بن محمد الظاهري الميكالي

الأدب المفاكه

٧ - ورأوا أن الظرف احلى خصائص المرأة ، فألف فيه كتب شتى منها :

١ - كتاب (المنظرات) ^(١١) لاحمد بن ابي طاهر احد البلغاء الشعراء

الرواة (٢٨٠)

٢ - كتاب (المتظرفين والمنظرات) ^(١٢) لعبيد الله بن احمد بن ابي طاهر

(١) و (٢) و (٣) و (٤) : معجم الادباء ١٧ / ٣٢٦ - ٣٢٧ . وانظر طبقات القسرين

من ٢٢٧ ، وطبقات القراء ٢ - ٩٥ . ووفيات الاعيان ٢ - ٤٤٧ . (٥) معجم الادباء ١٢ - ١٣٣

(٦) معجم الادباء ج ٣ - ٣٩٠ . (٧) معجم الادباء ٢ - ٨٤ . (٨) معجم الادباء ٢٠ - ١٣٣

(٩) المصدر السابق . (١٠) معجم الادباء ١٢ - ١٥٦ . (١١) الفهرست من ١٢٦ .

(١٢) الفهرست من ١٤٧ .

- ٣ - كتاب (المتظرفات) ^(١) لمحمد بن احمد الوشاء ابي الطيب النحوي (٣٢٥)
- ٤ - كتاب (عرائس المجالس) ^(٢) لمحمد بن احمد بن عبد الله الكاتب المعروف بالمفجع الشيعي (٣٢٧)
- ٥ - كتاب (المحوبات والمكروهات) ^(٣) للرفي
- ٨ - ولم يغفلوا عن حياة النساء الخاصة في دورهن وصلتهن بأزواجهن ، فآلفوا في ذلك كتباً كثيرة منها
 - ١ - كتاب (اختلاف الزوجين) ^(٤) للشافعي
 - ٢ - كتاب (من هجاها زوجها) ^(٥) للمدائني
 - ٣ - كتاب (من شكت زوجها) ^(٦) له أيضاً
 - ٤ - كتاب من (مئيل عنها زوجها) ^(٧) له أيضاً
 - ٥ - كتاب (من نهيت عن تزويج رجل فتزوجته) ^(٨) له أيضاً
 - ٦ - كتاب (النواكح والنواشز) ^(٩) له أيضاً
 - ٧ - كتاب (المتزوجات) ^(١٠) لخالد بن طليق الراوية النسابة
 - ٨ - كتاب (من وافقت كنيته كنية زوجته) ^(١١) لمحمد بن عبد الله بن حيويه
- ٩ - ثم تطرقوا فآلفوا في علاقات الرجل بزوجه مما يكون بينهما ، وهذه التأليف كثيرة لا جدوى في سردها .
- ١٠ - ولقد ذهبوا الى أبعد من ذلك ، فخصوا الشذوذ الجنسي بكتب وتآليف منها :

(١) النهرت ص ٨٥ (٢) معجم الادباء ١٧-١٩٢٠ (٣) معجم الادباء ٢-١٣٤

(٤) معجم الادباء ١٩/٣٢٢-٣٢٧ (٥) و (٦) و (٧) و (٨) : معجم الادباء ١٢-١٣٣

(٩) النهرت ص ١٠٢ (١٠) النهرت ص ٩٥ (١١) هذا مخطوط في المكتبة الظاهرية

بدمشق . قم المجموعات : أدب ١١٦٠

- ١ - كتاب (السحق)^(١) لمحمد بن حسان النعماني أحد الكتاب الادباء في عهد المعتمد .
- ٢ - كتاب (البغاء)^(٢) له ايضاً
- ٣ - كتاب (السحافات والبغائين)^(٣) لمحمد بن اسحاق الصيمري (٢٧٥)
وكان أديباً مليحاً حجازاً وندماً للمتوكل
- ٤ - ولقد خص ابن النديم مسرداً باسماء الكتب التي الفت في (الجباب
المطرقات) ولم يذكر مؤلفيها منها :
- ٥ - كتاب (ربحانة وقرنفل)
- ٦ - كتاب (رقية وخديجة)
- ٧ - كتاب (سكينه والرباب)
- ٨ - كتاب (سلى وسعاد) وغيرها^(٤) .
- ١١ - وكما ألفوا في أخبار السواقط فقد ألفوا في أخبار الشواعر
والعواقل والصالحات . ومن ذلك :
- ١ - كتاب (أشعار النساء)^(٥) لمحمد بن عمران المرزباني الراوية الاخباري (٣٨٤)
- ٢ - كتاب (العواقل)^(٦) لابن الكلبي
- ٣ - كتاب (بلاغات النساء) لأحمد بن أبي طاهر (٢٨٠) ذكر فيه
طرائف كلامهن واخبار ذوات الرأي منهن واشعارهن في الجاهلية والاسلام
(طبع سنة ١٩٠٨)
- ٤ - كتاب (الرسالة للصالحات من النساء)^(٧) لعالم الشام في القرن العاشر يوسف
ابن عبد الهادي

(١) الفهرست من ١٥٢ . ومعجم الادباء ١٨ - ١١٩ . (٢) المصدر السابق .
(٣) الفهرست من ١٥٢ . (٤) الفهرست من ٣٠٢ . (٥) معجم الادباء ١٨ - ٣٩٩ .
(٦) الفهرست من ٩٨ . (٧) هذا مخطوط في المكتبة الظاهرية بدمشق رقم ٢١ ادب .
جمع فيه طائفة من أخبار النساء وما ورد في الصالحات منهن وصدر ذلك بحديث « هو دوا نساء كم
الفرز فانه أزين لمن وأرزن » .

١٢ - وقد عنوانوا أيضاً بأخبار القيان والجواري والمسمعات والمغنيات والنوائح وأمهات الأولاد، وهذه الكتب وافرة جداً نذكر منها :

- ١ - كتاب (القيان) ^(١) للجاحظ
- ٢ - كتاب (القينات) ^(٢) لاسحق بن ابراهيم الموصلي
- ٣ - كتاب (اخبار عزة الملاء) ^(٣) له ايضاً
- ٤ - كتاب (قيان الحجاز) ^(٤) له ايضاً
- ٥ - كتاب (قيان مكة) ^(٥) للمدائني
- ٦ - كتاب (المغنيات) ^(٦) له ايضاً
- ٧ - كتاب (القينات) ^(٧) له ايضاً
- ٨ - كتاب (الاماء والشواعر) ^(٨) لأبي الفرج الأصفهاني
- ٩ - كتاب (القيان) ^(٩) ليونس بن سليمان المعروف بالمغني
- ١٠ - كتاب (اشعار الجواري) ^(١٠) للمفجع الشاعر الشيعي
- ١١ - كتاب (النوائح) ^(١١) لأحمد بن مطرف القاضي المصري
- ١٢ - كتاب (امهات الأولاد) ^(١٢) للطبري المحدث الفقيه
- ١٣ - كتاب (عنق امهات الأولاد) ^(١٣) للشافعي

* * *

تلك هي الكتب التي استطعت ان اعثر عليها في تضايف الامهات وثناياها ، ولعل هناك كتباً كثيرة غفلت عنها ولم اعلم بها

- (١) معجم الادباء ١٦ - ١٠٧ • (٢) التهرست ص ١٢١ • (٣) المصدر السابق •
 (٤) المصدر السابق • (٥) التهرست ص ١٠٢ • (٦) المصدر السابق • (٧) معجم الادباء •
 ١٢ - ١٣٣ • (٨) الاغاني - المقدمة - ج ١ طبعة دار الكتب المصرية • (٩) التهرست ص ١٢٥ •
 (١٠) معجم الادباء ١٧ - ١٩٤ • (١١) معجم الادباء ٥ - ٦٣ • (١٢) معجم الادباء ١٨ - ٦١ / ٨١ •
 (١٣) معجم الادباء ١٧ - ٣٢٤ - ٣٢٧ •

١٣ - على أن الى جانب هذه الكتب فصولاً كثيرة مبعثرة هنا وهناك
 'خصت بالنساء وأخبارهنّ وصفاتهنّ وأحوالهنّ وتراجهنّ' ، كالتي
 كتبها ابن عبد ربه في العقد، والنويري في نهاية الأرب ، والزمخشري
 في ربيع الأبرار (مخطوط) وابن قتيبة في عيون الأخبار، والقالي في
 الأمالي والملاحظ في البيان والتبيين والسخاوي في الضوء اللامع
 وغيرها .

* * *

افبعد ذلك كله - وإن قلّ ! - نقولون ان العرب والمسلمين لم يحفلوا بالنساء
 ولم يؤلفوا في اخبارهن ٠٠ ؟

صلاح الدين النجد

دمشق :



الغوطة

- ٢ -

مدينة الغوطة

أجمع من وصفوا الغوطة على اختلاف العصور أن فيها قرى كالمدين ، وأن أهلها كأهل الحاضرة أي دمشق ، ومنذ القرن الثامن قال ابن بطوطة ان في اكثر قرى الغوطة الحمامات والمساجد الجامعة والأسواق وسكانها كأهل الحاضرة في مناحيهم ، ولولا أن تبدلت معالم الغوطة مرات لشهدنا عمراناً قديماً ، وما زلنا كلما حفرنا في الحقول البعيدة عن مراكز القرى نعثر على دمن تدل على عمران قديم نغم ، وعلى ثروة وحضارة . وكان بناؤهم بالحجر الصلب على 'بعد المقالع عن الغوطة ، ومعظم بنيانها الآن باللبن ويقل فيها البناء بالحجر .

وحدثتنا الكتب أنه كان في بعض قرى الغوطة جوامع منقنة ، وكان فيها قصور صبرت على الأيام مثل قصر بيت لهما في طريق الواصل من مدينة السلام بغداد والراحل اليها ، كانت لغني اسمه السكسي ، وكان له في اقليم بيت لهما عدة قصور مبنية بالحجر والخشب الصنوبر والعمر ، في كل قصر منها بستان ونهر يسقيه ، وكان هذا القصر في ارض حرستا . وروى المؤرخون ان القصر الذي 'بني للمتوكل كان في طريق داريا ، وان البائين اخناروا هذا المكان لبعده عن ضباب الغوطة ورطوبتها ، قال المسعودي : ان المتوكل لما نزل بدمشق أبنى ان ينزل المدينة لتكاثف هواء الغوطة عليها ، وما يرتفع من بخار مياهها ، فنزل قصر المأمون وذلك بين داريا ودمشق على ساعة من المدينة في أعالي الأرض ، وهذا الموضع بدمشق يشرف على المدينة واكثر الغوطة ، وكانت يعرف بقصر المأمون الى سنة ٣٣٢ ، وفي عيون التواريخ للكتبي ان المتوكل أقام بدمشق سنة ٢٤٤

وبنى بها القصور ، وهي التي بطريق داريا ، ثم انه استوخها ورأى أن هواءها بارد رديء وماءها ثقيل بالنسبة الى هواء العراق ومائه ، ورأى أن الهواء يتحرك بعد الزوال في زمن الصيف فلا يزال في اشتداد يثير الغبار الى قريب من ثلث الليل ، ورأى كثرة البراغيث بها ، ودخل عليه فصل الشتاء فرأى من كثرة الأمطار والثلوج أمراً عجيباً ، وغلت الأسعار وانقطعت الأجلاب ، فضر منها بسبب كثرة الشتاء والثلوج ، ومعلوم أن المتوكل كان غريب الأطوار ضجرت منه أمتة فقتلته ، ولا عجب أن أضجره هواء دمشق وماؤها

ومن يك ذا فم مر مريض يحمد مرأ به الماء الزلالا

وكان في الغوطة في القرون الوسطى والقرون الأخيرة قصور مشهورة ، منها ما بناه الملوك ، ومنها ما بنته الرعية او الأغنياء . ولما انقطع عيش البادية في الغوطة أوائل هذا القرن الهجري صحت نية اغنياء دمشق ممن يملك أرضين في ضاحيتها او قراها على اقامة القصور الجميلة ، وخرت هذه القصور والدور البديعة في الثورة السورية (١٩٢٥ - ١٩٢٦) . وأهم ما أصابه الحريق والتدمير قصور برزة والقابون والعنابة وجرمانا والمنيحة والحديثة وزبدین وحمورية والافتریس وجوبر والمزة ، ومن القرى ما دثر برمته مثل جسرین والمنيحة وبرزة كما خربت في دمشق أجمل دورها وقصورها الأثرية .

كانت الأرض الموقوفة في الغوطة كثيرة جداً ، وقد قلت في العهد الأخير واستبدل بعضها ، وكان من السلاطين من يققون سهماً من ضيعة أو ضيعة برمتها أو ضياعاً على اعمال الخير كما فعل نور الدين محمود بن زنكي صاحب مصر والشام فانه بنى قصرًا للفقراء في الربوة ووقف عليه قرية داريا اعظم قرى الغوطة واغناها ، لتكون قصورهم الى جانب قصور الأغنياء فقال الشاعر الكندي :

إن نور الدين لما أن رأى في البسائين قصور الأغنيا
عمر الربوة قصرًا شافعًا تزهة مطلقة للفقرا

وبقيت قصور الأغنياء في الربوة الى القرن العاشر، وما من اثر اليوم لأ نقاض قصر الفقراء ولا لقصور الاغنياء ولا لقصر المأمون والمتوكل ولا للقصور الدارسة في الربوة والشرف الأعلى والشرف الأدنى من غربي دمشق ، كل أولئك خرب على عهد العثمانيين ، بما لاقته البلاد في القرن الذي قبل القرن المساخي من تعدي عسكر الانكشارية وسوء ادارة القائمين بالأمر .

روى البدرى انه كان في كل شرف من ذبلك الشرفين عدة من المدارس والمساجد ولكل واحد ما يكفيه من الأوقاف استولت عليها أيدي المتشبهين بالفقهاء فأظهروا فيها انواع المفساد ، قال النواجي :

ألا إن وادي الشام أصبح آبة محاسنه ما بين اهل النهى تنلى

وإن شرفت بالنيل مصر فلم يزل دمشق لها بالغوطة الشرف الأعلى

وفي الشرف الأعلى اليوم قامت حديقة الأمة والمشتل الزراعي ومدرسة التجهيز للذكور ، وهي من المباني المحدثه البديعة ، وفي الشرف الأدنى أقيمت السكنة الحميدية والجامعة السورية والمستشفى الوطني ودار الآثار والتكية السلمانية .

ذكر ابن عبد الهادي من اهل القرن التاسع في تاريخ الصالحية من المحاسن محلات الشرفين المطلقين على الميدان أي الميدان الأخضر الذي نطلق عليه اسم مرج الحشيش اليوم ، وكان عامراً من الطرفين ، وفيه خطب ومدارس ودور الأمراء وتندق نوباتهم في كل ليلة ، وفيه حوانيت وخانات حتى يوصل منه الى الثيرب ثم منه الى الدهشة ومنها الى الربوة ، قال وكان جميع ما تقدم في تاريخ السبعائة عامراً أهلاً ، وتمدى عليه في عصر الثمانائة وبطلت منه الخطب والى الآن ، قال : وبقيّة الأماكن من الربوة الى السهم والثيرب والشبلية ومحلة طاحون الشنان ومحلة الميطور وقصر اللبان والشرفين فكلها تبدلت بعد الأماكن بالجنان .

ومع شدة اختلاط الغوطيين بأهل الحاضرة لا تزال الأمية غالبية عليهم ، ولا تزيد المدارس الابتدائية التي أنشأتها الحكومة فيها عن ثنتين وعشرين مدرسة

للذكور والاناث ، والواجب أن تكون ثمانين نصفها للذكور والنصف الآخر للاناث ، ولم ترسل الحكومة اليها الوعاظ والخطباء من طبقة جيدة فأصبح المجال رجبا للمخرفين ، يؤذون العقول بخرافاتهم ويستلبون مافي الجيوب ، ويقلّ الذكاء في الغوطة ويكثر النشاط .

خرج من الغوطة أجلة المحدثين والفقهاء والأدباء والحفاظ ومنهم الحافظ الزمלקاني والحافظ اليلداني ، وخرج من حرستا محمد بن الحسن صاحب الامام أبي حنيفة ، ذكر بعض من أخرجتهم أرضها ممن كتبوا في خطط هذه المدينة وغوطتها ، وعنوا بالرجال من أهلها فترجموا لهم ولا سيما لحفاظ الحديث .

نعم كانت معظم قرى الغوطة أشبه ببراكر علم ورواية ، ومن جملة تأليف الحافظ ابن عساكر من أهل القرن السادس كتاب روايات ساكني داريا ستة أجزاء ، وكتاب من نزل المزة وحدث بها جزء واحد ، وكتاب أحاديث كفرسومية جزء واحد ، وكتاب احاديث صنعاء الشام جزءان ، وكتاب فضل الربوة والتيرب ومن حدث بها . وكتاب حديث الحميريين وقبيبة جزء واحد ، كتاب حديث أهل فذايا وبيت أرانس وبيت قوفا جزء واحد ، وكتاب حديث أهل قرية البلاط جزء ، ومن حديث أهل زبدین وجسرین جزء واحد ، ومن حديث سلمة بن علي البلاطي جزءان ، ومن حديث أهل بيت سوى جزء واحد ، ومن حديث دومة ومسرابا والقصير جزء ، ومن حديث جماعة من أهل حرستا جزء ، ومن حديث أهل كفرطنا جزء ، ومن حديث أهل دقانية ^(١) وحجيرة وعين ثرماء وجديا وطر ميس جزء ومن حديث جماعة من أهل بيت لهيا جزء واحد . ومن حديث يحيى بن حمزة البتلعي جزءان . ومن حديث أهل برزة جزء . اهـ وجميع هذه القرى من قرى الغوطة والذي دثر منها صنعاء الشام أو صنعاء دمشق ، وكانت في منتصف الطريق بين دمشق والمزة خرج منها محدثون كثار ، ومنها التيرب والحميريون وفذايا وبيت أرانس وبيت قوفا والقصير

(١) ذكرها ابن طولون في ضرب الحوطة والغالب انها دثرت بعد القرن الحادي عشر

ولافانية وجديا وطرميس وبيت لها وقبية . وبعض قرى الغوطة كانت الى القرن الثامن والتاسع تزدان ببعض العلماء والأدباء ، ويكفي ان مثل الحافظ الذهبي في القرن الثامن كان يدرس في كفربنا ، وزعم ابن طولون الصالح ان الذهبي من جماعة من الأئمة المحدثين الذين خرجوا من كفربنا أي انه من أهل هذه القرية .

وبعد فأت الغوطة اليوم ينقصها كثير من مرافق المدينة ، إذ أتت عليها قرون كانت الحكومة تأخذ خيرها وأموالها ولا تنفق عليها واحداً في المئة مما تأخذ ، فتأخرت بمعارفها وتعطلت طرقتها وجسورها ومدارسها وجوامعها ، وليس فيها غير بضع طرق معبدة في الجبل ، وهذا مما تم في العهد الأخير ، وطرقتها القديمة عريضة جداً فاستصفي أكثرها بعض من يستحلون كل شيء في جمع ثروتهم

هذا وليس في الغوطة من آثار المدينة سوى خط ترام كهربائي يربط دمشق بحاضرة الغوطة الشمالية اي دومة ، وطوله أربعة عشر كيلومتراً يمر ببساتين العنابة وأرض جوبر وزملكا وعربيل وحرستا ودومة ، وإذا امتد هذا الخط الكهربائي فوصل بين دومة وداريا فدمشق ماراً بأهات قرى الغوطة الوسطى والجنوبية مثل حمورية وسقبا وكفربنا وجسرين والحديثة وزبدین والنخلة وجرمانا وعقربا وبلدا وببلا والقدم وكفرسوسية والمزة ، اي ربطت الغوطلتان القبلية بالشمالية ، ومدت قساطل ماء عين القيجة الى القرى كافة (والقوم يشربون الى اليوم من آبار لم ترشح من الأنهار القذرة) تصبح قرى الغوطة محيطة بدمشق احاطة الهالة بالقمر ، وتغدو هذه المزارع والقرى كأنها بعض أحياء الفيحاء ومحلاتها ، وتنقلب بعض تلك الدساكر مصابف ومشاتي ، وكلما زاد عدد الجادات العظمى فيها وبنيت الفنادق والمقاهي تغدو الغوطة قبلة المتنزهين ، وكلما زاد عدد البيوت والقصور استحالت الغوطة من أرض زراعية الى منازل تنسج بها دمشق حتى تصبح عاصمة كبرى كالقاهرة .

إذا تم هذا يتحقق في الغوطة ما ادعاه بعض المفسرين في قوله تعالى « إِرَامَ ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ » من أن ذات العمد هي دمشق حاضرة

الغوطة وكانت فيها فيما قيل أربعمائة الف عمود ، وفي قوله تعالى (وآتيناهمنا الى ربوة ذات قرارٍ ومعين) من انها أيضاً مدينة دمشق بأرض يقال لها الغوطة .
طرائقها الزراعية

قال أحد العارفين ان لمدينة دمشق طابعاً خاصاً في مرافقها ومصانعها وأوضاعها ومناحيها ، قد لا ترى ما يماثله في البلدان الأخرى ، وهذا الطابع يتناول غوطتها أيضاً ، فان الناظر في أرجائها لا يزال الى اليوم يرى الزراعة فيها على الطرق القديمة ، لم تنسرب اليها الأساليب الحديثة الا قليلاً ، ثم ان ما أدخلته من التحسن في زراعتها وصناعاتها الزراعية قد تلاحظ أنها تمثلت وتبنته ، فهي تسير في معظم حالاتها على أصول الأجداد ، ولكن مع الاتقان والاحتفاظ أبداً بطابع القرون الغابرة ، ومعظم ما عملته فيها الأيدي والعقول لا يبدو عليه التجدد الا بقدر الخال في الوجه الجميل ، ذلك لأن من عادة الغوطين الا يبادروا الى اقتباس الجديد الا اذا قامت لهم البراهين على عظيم فائدته ، وبصون على ما لم يألوا ، لا يخرجون عن طبيعة أرضهم ، وقد عرفوا بالصبر على استثمار الشجر واستنبات النبات .

يستخرج الغوطيون الزيت من زيتونهم ، والدبس من عنبرهم ، والعصير (القمر الدين) من مشمشهم ، والورد والعطور من زهرهم وورودهم ، والصابون من زيتهم ، والأجبان والسمن والزبد والقشدة من البانهم ، والطحينة والشيرج من سمسهم ، والنشاء من برهم . ويقطفون الزيتون والجوز بعصيمهم ، وينقعون القنب في حفرهم ، ويستخرجون أليافه على أسلوبهم ، ومنها يفتلون حبالهم وخبوطهم ، ويدبغون من جلود حيواناتهم سحتياتهم ، ويمسكون من صوفهم قماشهم وثيابهم ، ويتخذون من أخشابهم أدوات زراعتهم وصناديق فاكهتهم ومنجور بيوتهم ، ووقودهم من حطبهم وبنائهم من ترابهم وما يرحوا يعلقون دوابهم بالقديم من طرائقهم ، ويحراثون الأرض ويزرعونها ويسقونها على نحو ما كان يفعل آبائهم .

وما جلب بعض الغوطين الآلات الرافعة واعتمدوا عليها لإرواء صعيدم إلا

لما أعوزتهم اسالة المياه من أنهارهم ، وثحت الجداول في بعض السنين فخافوا أن تصوح ادواحهم ، وما عرفوا الأسمدة الكيماوية الا عندما قلت الأسمدة الطبيعية ، وما عادت تكفي ، لما طمحت نفوسهم الى تسميده وتجديده من الأرضين ، وما ألفوا تذريرة الجبوب بالآلة التي اوجدها احد مواطنيهم الا لما ثبت لهم ان تذريرتها بالمذرة وتخين هبوب الريح ، مما يطيل امد استخراجها من تبنها ، وتضيع عليهم بعض حياتها .

وكأن الغوطّة السمحة التربة ، المعتدله الهواء ، الصافية الأديم تعطف على الفقير أيضاً ، فلا ترى أن تقطع رزقه ، وتحرم الصانع والعامل من أبنائها أجور سواعدهم ، فلا تعتمد الى الآلات والأدوات الحديثة الا في أحوال شاذة . الغوطّة لتوقى الغلظة التي وقع فيها الغرب لما استعاض عن الأيدي العاملة بما اخترع من الآلات ، فهي لا تريد أن ترتكب هذه السقطة لئلا يكثر فيها الناقون والموتورون ، ثم تعم الاشتراكية ، وتنتشر الفوضى ، ويفسد الأمن ، ويتقلقل الحكم .

ورث الغوطيون عن آبائهم معرفة تأثير الهواء في الزروع والأشجار ، وأخذوا عنهم أصول زراعة الارض واستثمارها ، ومعرفة تربتها واروائها ، وما يصلحها وما يضرها ، لا يخلون بشيء مما نقلاوه عنهم ، وأساليبيهم في ذلك سليمة في الجملة ، وقد تكون أقرب الى العمل من كثير مما اعتدى اليه العلم الحديث ، وصعب عليهم تطبيقه ، والانتفاع به حتى المنفعة . رسخت في نفوسهم طرائقهم القديمة ، فن الصعب ان تزين لهم طرقاً جديدة يتبعونها ، وندر من تعلم الزراعة من ابنائهم على الأصول الحديثة ، اكتفاءً بالذي ثقفوه عن أجدادهم .

فعلى عاتق الحكومة ، والحالة هذه ، واجب تعليم الغوطيين فيما تربو به مكاسبهم ، وتعتقد فيه هناءتهم وناعم عيشهم . وعليها ان تقيم لهم الحياير والمشاتل والمناحل وحظائر الدواجن الى ما شاكل ذلك على ما يقضي به العلم العصري ، ويفرض على حكومة ترى من الواجب عليها انماء الثروة العامة ، أن توجد للعاطلين أشهراً من كل عام ، عملاً

يقناتون به . ولو صرفت العناية بالصناعات الزراعية ، ولا سيما تربية المواشي والفحل وتربية الدواجن والطيور اكثر مما عليه الحال الآن ، لكان للغوطة من وراء ذلك أرباح ثابته لا يستهان بها ، تضاف الى ريع أرضها وغاباتها ، فان البقر البلدي والماعز البلدي في الغوطة هما من عرق أصيل لا يكاد يكون له مثيل في سائر أقاليم الشام ، لكثرة ما بدر من الألبان الجيدة . وهذه الأنواع من الضرع لا تعيش في غير ظلال الغوطة ، ولا تستمر في غير مراعيها ومياهاها ، ويسقط النحل بما في الغوطة من أشجار مثمرة وأزهار عطرة على غذاء شعبي لا مثيل له في الأقاليم الأخرى .

كان في الغوطة صناعات زراعية رابحة نازعتها صناعات أرقى ظهرت في اقطار أخرى ، فعملت تلك الصناعات او ضعفت ضعفاً محسوساً لقلة الصادر منها الى الاقطار المغاورة على الأقل ، كما حدث للصابون لما نازعه الصابون الغربي الذي هو هناك وليد الكيمياء الحديثة ، وكما حدث للعطور والطيوب لما اخترعت الطيوب الاوربية نتيجة لازمة ايضاً لانتشار الكيمياء ، وكما توقفت منسوجات القطن والكتان والحريز فبارت .

وقد أبقى لنا شيخ الربوة من أهل القرن الثامن في كتابه (نخبه الدهر في عجائب البر والبحر) صورة استخراج العطر من ازهار الغوطة وورودها ، قال : ان حرقته تلقى على طرفات المزة وفي دروبها وازقتها كالزابل فلا يكون لرائحته نظير ، ويكون ألذ من المسك الى مدة انقضاء الورد . ويذكر صنعة اخراجه بالكركات والانايق ، ورسم صورها وطرق استعمالها ، وما هنالك من كركبات أخرى يستخرج منها ماء الورد وغيره من المياه بلاماء بل بوقود الحطب ، وذلك بعد حشو القرع بالورد وبلسان الثور وبزهر النيلوفر أو البان وبزهر النارنج والششقيق والهندباء او بورق القرنفل .

قال ويحمل الورد المستخرج بالمزة الى سائر البلاد الجنوبية كالبحجاز وما وراء ذلك ، وكذلك يحمل زهر الورد المزي الى الهند والسند والصين والى ما وراء ذلك ، ويسمى هناك الزهر . وما أرى فيه انه كان لقاضي القضاة الخفية ولأخيه قطعة بأرض تسمى شوز الزهر طولها مائة وعشرون خطوات ، وعرضها خمس وسبعون خطوة ،

باع منها عشرين قنطاراً باثنين وعشرين الف درهم ، وذلك سنة خمس وستين
وسمائة ، وهذا لم يسمع بمثله .

وفي العهد القديم أيضاً كانت بعض القرى تختص بأشياء قد لا توجد سِوى
غيرها ، فقد ذكر القرماني أن في «عقربا» العنب الزيني الذي لا نظير له ، واليوم
ليست كذلك ، ولا يوجد هذا الصنف من العنب في غير قرية داريا ، ويجود في مدينة
دمشق وحدائقها أنواع العنب الكبير الحجم كالبلدي والبيتحموني وغيرهما ، وكان
ينسب القماش الي عقربا ايضاً فبطل عمله فيها من قرنين على الأُغلب

روى البدري في محاسن الشام انه كان بالغوطة أشجار تحمل الواحدة منها
اربع فواكه كالشمش والخواخوخ والتفاح والكمثرى ، وبها ما يحمل الثلاث واقلهن
اللوان من الفاكهة قال : وهذا موجود الى يومنا هذا (القرن التاسع) فاني رأيت
بها الكرمة الواحدة تطرح العنب الأبيض والاسود والاحمر ، رأيت بوادي النيربين
شجرة توت تطرح التوت الابيض والاسود قال : وهذا من صنعة الفلاحة ويسمى
التطعيم ، وذكر صورته كما هي معروفة الى اليوم .

ورأينا لهذا العهد قرية جرمانا تصنع أعبئة من الحرير والمرعز وغيرهما تليق
ان تكون كسوة الملوك والملكات لجمال صنعها وتفوقها ، وقد نازعتها الألبسة
الجديدة حتى كاد يقضى على اتقع لباس اخترعته العرب في الدهر السالف ، وهو
صالح لكل زمن لأنه لباس وغطاء ووظاء ، بقي البرد والحر وتجميل به الرجال والنساء .
متنزهات الغوطة

في الغوطة عدة متنزهات هام بها الشعراء وذكروها ، وحنوا اليها حنو الحبيب
لحييه ، منها (سطر) و (مقرا) وفيها يقول عبد الرحمن ابن خطيب داريا وقد
أحسن التورية :

خليء ان وايثا الشام بكرة وعابثا (الشعراء) والغوطة اخضرا
قفا واقرأ عني كتاباً كتبته بدمعي لكم (مقرا) ولا تنسيا (سطر)

و (الشقراء) مطلة على المرج الأخضر وعندها اليوم طاحون يقال لها طاحونة الشقراء ، و (مقرا) المكان المعروف عند طاحون الشنان في شمالي شرقي البلد . و (سطرا) عند جامع منجك قرب برج الرؤوس من ناحية الشرق ، وكان (البيكي) متنزهاً حسناً بين سطرا ومقرا . روى البدري ان الناس يجتمعون فيه أيام زهر السفرجل ويطلقون الماء تحت أشجارها ، وبوقدون في ظلمة الشهر قشور البيض ويطلقونها في الماء ، ويلقون قشور النارج موقدة في الاشجار ، ويضربون الخيام في بستان الحجاب ، ويقطعون فيه أياماً وأوقاتاً من اللذة والانسراح يعجز الوصف عنها .

قال ابن طولون الصالحى : أعظم متنزهات دمشق (الربوة) كان بها اربعة مساجد وجامع بخطبة ومدرسة وكان بها (التخوت) وهو قصر مرتفع على سن جبل به قاعة وطبقات على هيئة الابوان ينظر الجالس هناك من مسافة يوم لو لم يكن حائل به ، وكان بها خمسة مقاصف^(١) اثنان شرقي نهر بردى وثلاثة غربيه ، وكان بها (العاشق) و (المعشوق) وهما برجان للحمام في لحف الجبل الغربي وشماليها برج عتيق يسمى (العذول) . وقال : انها خربت ثم عمرت وهكذا مراراً ، وفي عهده بقيت مأوى للوحوش قال بعضهم :

شوقي (يزبد) وقلب الصب ما يرذا (وبان يامي) من (المعشوق) حين غدا
ومدمعي (قنوت) والعذول حكي (ثورا) يلوم الفتى في عشقه حسدا
على مفتية (بالجنك) جاوبها شباة كم بها من (عاشق) سهدا
فالبدرد (جبهتها) والدف (ربوتها) وخلصها مات في (خلخالها) كدا
و (الخلخال) و (العاشق) و (المعشوق) و (الجنك) و (الجبهة) و (الدف)
كلها من متنزهات دمشق في غربي المدينة .

(١) التصف : اللهو واللعب على الطعام والشراب ، والتصف محله وكانت التماصف قبل ان تكون المقاهي وكلاهما يقشايان .

يقول ابن طولون : وفي شرقي الربوة (قطية) وهو مكان كان فيه سمان وشرائح
ومقاصني وقد خربت ، وشرقها في الطريق المذكور (الجبهة) على حافة نهر بردى له
مسجد ودكاكين ومقصف ، وظل الدف والجنك معروفين الى القرون الأخيرة
فقد ذكر الرحالة الخياري في القرن الحادي عشر (الباسطية^(١)) من متنزعات الصالحية
وقال انه مرّ أيضاً في طريقه الى الربوة بالنيربين والجنك والدف والميطور وهي
أسماء متنزعات . وقد مدح الأمير منجك قصر والده في غربي المدينة بقوله :

قصر الأمير بوادي النيربين سقى رباك عني من الوسمي مدرار
كم مرّة لي فيك أيام هواجرها أصائل ولياليهن أسمار
حيث الشيبة بكر في نضارتها وللصباية احلاف وأنصار
حيث الرياض تغني حمائها (بالدف) و (الجنك) و (الميطور) لي جار
حيث الخمائل أفلاك بها طلعت زهر من الزهر والندمان أقمار

وتشوق ابو الحاسن الشواء الحلبي الى متنزعات دمشق ، ومنها ما دثر اسمه

اليوم بقوله :

عاطياني حديثاً (سطرًا) و (مقرا) وابسطالي في هجري الكأس عذرا
أنا مالي وشرب كأسات خمر شغلتنني عنهن كأسات ذكرى
كم نعمنا في (بيت ليا) بلهو وعلونا (بالقصر) و (السهم) قصرنا
ومررنا (بدير مران) نشدو فيه نظماً وتسجع الورق ثرا
نتفيا مابين (الارزة^(٢)) والقا بون دو حاً يبدل القيقظ قرا
إن عندي يا (بيت أبيات) و (السيد) لون^(٣) شوقاً اليكما مسترا

(١) لم يذكر اسمها فيما أمامنا من الأسفار .

(٢) أرزة كانت الى القرن العاشر موجودة كما قال ابن طولون .

(٣) بيت أبيات حارة كانت غربي الصالحية - قاله ابن طولون الصالحى - ولم يذكر في التراجم اسم
(سيلون) وسيلون اليوم بستان مطلّ على الربوة من أرض المزة وهو ملك سمو الامير يوسف كمال .

بأبي (برزة) فكم قد برزنا
يا خليلي ساعداني واني
خبراني عن (القصر^(١)) و(حرنا)
(معربا) و(الدرج^(٢)) و(الثلجنا)
و(مئين) بها مناي فمن لي
فتنايا على (الثنية) قصا
عللاني (بكفربطنا) و(جديا)
واسألا لي عن (جوهر) ثم (جر)
واسكم بين (دومة) و(حرسنا)
ودّ جفني ان لو غدا بين (يروي)
(فلقلابين) بات قلبي مشوقا
(يزملمكا) و(عين ثرما) و(سقا)
لي رياض كأنين السّموا
ثم قصا علي أخبار (أشفا)
فلنا حولها مطارح لمو
(حلفباتا) و(بيت قوفا) و(بي)
انتمني حيثما توجهت ظلّا
ولنا تحت دوحها حرم نأ
(مجبجيرا) و(تلفياتا) و(دير البيا
نهادي فيها الى القصف جهرا
كنت بالحلب قبل ذا اليوم غرا
بجبر وودت لو كانت خيرا
ت بعدنا عنها ولم نأت وزرا
أن أقضي فيها من العمر شطرا
وابسطالي عذرا بأكناف (عذرا)
وذرائي من ذكر لبني وعفرا
مانا) فلي فيها مآرب أخرى
غرف توقف النواظر حسرى
و(كثار^(٣)) بكثار المزن قطرا
و(لعرين) ظلت العين عبري
و(ميسرين) ظلت اربع شهرا
ت تضاهي زهر الكواكب زهرا
نية^(٤)) كفنا بذلك اجرا
مس كف الحيا ثراها فأثرى
لا) و(بلدا) قرى بها أنا مغرى
وأرى حيثما تلفت نهرا
وي اليه اذا الهجير استمرا
لسي^(٥)) انهمكت في اللهو مرا

(١) في ضرب الحوطة ان القصر غربي كمرسوسية

(٢) مرابا والدرج وحرنة وسين والنية ثنية العقاب من قرى جبل سبر أي قلموق، شمالي النوطة.

(٣) ان كلمة كثار ويروي اسم قرينين أو متزهين من متزهات النوطة على ما يظن .

(٤) أشفانية لم تتحققا ولعلها شقونية أو اشقونية من قرى المرج

(٥) من القرى التي لم تعرف لها ذكراً فيما لدينا من الكتب .

دمن لو أقيس حسن دماغها بسواها لجئت شيئاً نكراً
 واذكرا (عقربا) و (دير العصاة) ير^(١) لسمعي ان شئنا ان تسرا
 فالى (بيت رانس) والى (دير النوا) طير^(٢)) هزني الشوق سكرا
 ولنا (بالبلاد) أوقات أنس فخلبها مجملات غرا
 كم فتكننا بالهم فيها وأوسه ناصروف الزمان هجراً وهجراً
 وشمعننا من روض «راوية» نه حة ريج أذكى من المسك نشرا
 باليالي «بكفرسوسية» كانت وهي «بالزة» الأنيقة زهرا
 ويك عودي لا اخضر عودي ان رم ت مدى الدهر عن جنابك صبرا
 فسقى واكف الحيا ربوة ذات قرار يهي ليالي عشرا
 جاء في محكم الكتاب لها وصف فهاذا يقول من قال شعرا
 ومن متنزهات الغوة [السهم] وهو متصل بأرض الصالحية قال البدرى في
 محاسن الشام: وهو درب ما بين دور وقصور وفاكهة وزهور ومياه تجري بهدير
 كالبحور، وفيه يقول القيراطي:

دمشق بواديها رياض نواضر بها ينجلي عن قلب ناظرها الم
 على نفسه فليبك من ضاع عمره وليس له فيها [نصيب] [ولاسهم]^(٣)

قلنا: ان من متنزهاتها الخلخال، وكان هو والمنبيع محلتين، وفي محلة الخلخال
 سوقة وحوانيت وفرف وحمام وهي مسكن الأتراك (في القرن التاسع) وكذلك
 المنبيع والشرفان وبه تدق طبلخاناتهم وبها زاويتان، وفي المنبيع محلة وسوقة وحمام
 وافران وبها مدرسة الخاتونية وهي من أعاجيب الدهر يمر بصحتها نهر بانياس ونهر
 القنوت على بابها ويجوارها دار الأمير ابن منجك [قاله البدرى] يتبع

(١) من قرى المرج (٢) قرية أو متنزه لم نزل له ذكر في الكتب .

(٣) السهم من متنزهات دمشق والقالب أن اسمه نصيب هو متنزه أيضاً ولكن ليس له ذكر فيما

رجعنا إليه من المصادر، ونصيب قرية من قرى حوران .

مخطوطات ومطبوعات

ديوان الشبيبي

أذكر ان السيد محمدًا رضا الشبيبي هبط دمشق الشام سنة ١٩٢٠ ، وأقام
بغرفة 'تطل على شجرات شارع جمال باشا الذي سمي بعد انزعاج الترك عن الشام :
شارع النصر ، وقد كنت أزوره في تلك الغرفة وأتمتع بسهولة خلقه ، وهدوء
طبعه ، واني لني زيارته في يومٍ من الايام اذ مررت بالشارع صرمة من الابل
يحدوها فتى أعرابي ، فوقعت عين السيد الشبيبي على تلك الابل فانحدرت دموعه
على خديه ، فبلغ مني العجب كل مبلغ ، ولكني لم أسأله عن بكائه ، ولم يستطع
ان يكتم سبب البكاء ، فقال : أعترف لماذا أبكي ؟ اني لما رأيت هذه الابل ،
ذكرت العراق وإبل العراق وصحراوات العراق ، فاشتد بي الحنين الى الوطن
فبكيت .

اذا شاء القارئ ان لا يجد في هذا الخبر شيئًا ذا بال فله رأيه ، غير اني
لا استطيع ان امرًا بمثل هذا الخبر من دون ان اجعل له صلة قوية بشاعرية
السيد محمد رضا الشبيبي ، فان تلك الدموع المضطربة على خديه كانت لي عنوان
شعره ، ولم اعجب بعد ما رأيت من فرط رفته من ان يكون ديوانه مرآة صادقة
تعرض علينا ما تعاقب على العراق في خلال ثلاثين سنة من احداث ، وما تقلب
فيه من آلام .

وسواء أكانت هذه المرأة تعرض علينا صورة الحماسة ام الاجتماع ام الاخلاق
ام الوجدان ام الوصف او الرثاء فانها مرآة من العصر الذي عاش فيه المجتري
وأمثاله ، على صورها رقة ذلك العصر ، وعذوبة تلك الأيام ، والذين يرون في
زمننا هذا ان الشعر العربي قد مات او كاد يموت فاني اقول لهم : طالعوا ديوان

الشبيبي ، فان الشعر العربي النقي الديباجة ، الطاهر الغرض ، لا يزال حياً ، ولا تخلو هذه النقاوة وهذه الطهارة من كثير من البساطة ، والبساطة انما هي عنوان العظمة في كل شيء ، وقد فطن السيد الشبيبي الى فضلها فقال :

متى خيروني في الكلام ونسجه رضىتُ بسيط القول لم أتأنق
ولماذا لا اذكر نموذجاً من هذا الشعر :

يارا كبين الى دمشق تزودوا	منا السلام ، لكل ركب زاد
الملك مضطرب النظام ، كأنه	جسد ، دمشق الشام منه فؤاد
هل في مروج الغوطتين لأهلها	ولرائديها صربع وصراد
وهل الربا حلال ضواف طرّزت	وطرازها الازهار والأوراد
وشيت من الروض الاريض مطارف	خضر الأديم ، وفوّت أبراد
بين الغصون ومن أمشين تشابه	في الحال ، كلّ مورك مياد
تلك القصور كأنهن قلائد	فوق الشطوط كأنها اجياد
أوما تزال على معاهد جلق	ترد الضيوف ونصدر الوراد

* * *

هذا هو الشعر الذي اذا قرأته فانك تشعر بأنك تقرأ شعراً عربياً عليه آثار بيان العرب وأسلوب العرب وتصوير العرب ، فلا عجمة في هذا البيان ، ولا غرابة في هذا الأسلوب ولا رطانة في هذا التصوير .

شفيق جبري

كتاب الذخيرة أيضاً

في مثل هذه الايام من العام الماضي علق البصر بهذا السفر النفيس لابن بسام فسرحت الطرف في فهرسه ألهم موضوعاته وانا لا اكاد اصدق من فرط السرور ان الزمان سيسمح بنشر هذا الكتاب . وقفت عند رقم يتعلق بالامام ابن حزم الذي كنت انتهيت من اصدار كتابي عنه قبيل ذلك ، فقرأت متبثاً ما ذكر عنه ابن بسام ، فوقفت عند بعض التصحيف وما طالعت ما كتب في التعريف بالكتاب في مجلة المجمع العلمي العربي احسبت ان ارفع ماعنّي من ملاحظة الى الأما تيد الأجلاء الذين فرغوا انفسهم لخدمة هذا الأثر الجليل ولحضراتهم الفضل :

١ - في ص ١٤٤ هذا البيت :

كأنك بالزوار لي قد تنادروا وقيل لم اودى علي بن احمد
ولا معنى فيه لـ [تنادروا] والصواب : [تبادروا] بالباء كما في ارشاد الأريب
ونفع الطيب [ترجمة ابن حزم]

٢ - في ص ١٤٥ :

هنالك تدري ان للبد غصة وأن كساد العلم آفته الغرب
والصواب كما يتمتضيه السياق وكما في المصدر السابق :

هنالك تدري ان للبد قصة وان كساد العلم آفته القرب

٣ - أرجح ان [تشوقوا] في قوله ص ١٤٥ :

فوا عجباً من غاب عنهم تشوقوا له ودنو المرء من دارهم ذنب
محرفة عن [تشوقوا] بالفاء بمعنى اشرأبوا ، وهو ايجاد .

٤ - لم اجد معنى مناسباً لكلمة [سغب] الواردة في قوله ص ١٤٦ :

وان رجلاً ضيعوني لضيع وإن زماناً لم ائل خصبه سغب

والصحيح ما في ارشاد الأريب : وان زماناً لم ائل خصبه جذب

٥ - وكذلك كلمة (ميقعة) في قوله ص ١٤٦ :

ذو الفضل كالنبر طوراً تحت ميقة وتارة في ذرى تاج على ملك
والميقعة - كما في القاموس - خشبة القصار يدق عليها ؛ والمطرقة ؛ والموضع
الذي يألفه البازي والمسن الطويل . وليس لأحد هذه المعاني مناسبة في البيت .
وانما الصواب : « تحت مترية » كما في نفع الطيب

٦ - في ص ١٤٢ : « جهله بسياسة العلم التي هي اعرض من ابعابه » والذي احفظه :
« اعوص من اتقانه »

٧ - في ص ١٤٢ : « ابوه الوزير المعقل في زمانه » ولم ارمسوعاً للتشديد لأن
[المعقل] بالتخفيف اسوغ .

٨ - في ص ١٤٢ : « فما من شرف الا مسوق عن خارجية » ولعل صوابها :
فما من شرف الا مسوق عن خارجيته : كما في ارشاد الأريب [ترجمة ابن حزم] .
٩ - لعل الأولى في كلمة [رحم معقومة] المذكورة في ص ١٤٢ ان يقال :
« رحم معقوفة » بالقاف لا بالميم

١٠ - ضبطوا في ص ١٤٤ [تحرقوا] بفتح فسكون ؛ وانما الفعل بالمعنى المذكور
رباعي لا ثلاثي ؛ فالصواب : [تحرقوا] بالضم فالسكون .

١١ - في ص ١٤٣ : « الفصل بين اهل الآراء والنحل » والمعروف من المصادر :
« الفصل في الملل والأهواء والنحل » والكتاب مطبوع متداول . وكذلك كتاب
« كشف الالتباس ما بين اصحاب الظاهر واصحاب القياس » صواب [ما] ان
تكون [لما] .

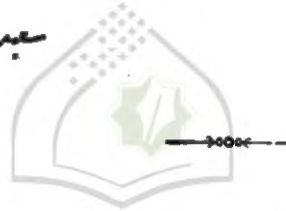
هذا ما لفت نظري في الصفحات الخمس المتعلقة بابن حزم . وقد اعجبني الاعجاب
كله كلمة الدكتور طه حسين في ختام مقدمته :

هناك نصوص لم تستقم لنا ولم نوفق الى اقامتها ، ومن الجائز بل من الراجح
ان تكون هناك اغلاط قد صرحت بنا أو مررنا بها فلم نود ان تكشف لنا عن

نفسها ولم نستطع نحن ان نكشف لانفسنا عنها . ولكن الانتاج العلمي مشاركة
كله ، بل أخص صفاته انه تعاون بين المنتجين والمستهلكين كما يقول اصحاب الاقتصاد .
فليصلح القراء ما فات الناشرين ومن يدريهم لعلمهم ان يضطروا في كثير من
الاحيان الى ان يصلحوا ما فات المؤلف نفسه . والمهم ان نعمل وان نسعى
جهدا الى الخير وعلى الله قصد السبيل »

ان هذا الكلام لا يقوله الا الاثبات الثقات من العلماء الذين كثرت معاناتهم
لآثارتنا ونصحيحها ، والذين استطال تجهم وتدقيقهم . واني بعد لشاكر لكل من
ساهم في هذا العمل المجيد أخلص الشكر ، مكبر لهم غاية الاكبار .

سعيد الافغاني



الآداب الاسلامية

تأليف السيد علي فكري في ٢٥٥ صفحة

طبع في مطبعة عيسى الباي بمر سنة ١٩٣٧ م

كتاب لطيف الحجم حسن الطبع ضمنه مؤلفه الفاضل أم ما يحتاج اليه المرء في دينه
ودنياه من الآداب الصحيحة ، والاخلاق الفاضلة . وقد جعل الاستشهاد فيه مقصوراً
على ماورد في القرآن الكريم والسنة الصحيحة : فكان اول ابوابه ادب المرء مع
الله تعالى ثم مع رسوله صلى الله عليه وسلم وولاية الأمور والوالدين والاقارب والجار
والصاحب وسائر الناس : كيف يزورهم ، ويمجالسهم ، ويمجادهم ويؤاكلهم : فهو
بذكر الآيات والاحاديث الواردة في ادب من الآداب ثم يفسرها موجزاً تارة
ومسهباً أخرى . ويعلق عليها من عنده احياناً تعليقا فيه سهولة وفيه لين في التعبير
بحيث يفهمه حتى عامة الناس . مثال ذلك تعليقه في موضوع الصدق قوله [فالتزم

أيها الإنسان نهج الصدق لتكون الصديق ذا المكانة العالية بين الناس ، والدرجة الرفيعة عند الله ، ولا تقشّر الكذب حتى لا تكون الفاجر الاثيم ، والكذاب المهين . واجعل صفحتك بيضاء نقية ، ومكانتك في المقربين عليّة ، ولقد صدق الشاعر في قوله :

واكرم الآداب صدق المنطق اكرم به اكرم به من خلق

اعدل شاهد على الصلاح اقرب منهاج الى الفلاح

ولم يستشهد المؤلف في كتابه الا بقليل من الشعر على نمط ما سمعت من هذين البيتين . ومن الشعر الذي استشهد به قصيدة ابتهالية في الحث على عبادة الله للشاعر اللبناني المشهور [الشيخ ناصيف البازجي] وقد جاء في هذه القصيدة قول الشاعر [واطلب رضاه فانه لا يحقد] والقول ان الله تعالى لا يحقد على عبده المذنب تعبير مسيحي كان ينبغي للمؤلف ان يذنب اليه في ذيل الصفحة : لان وصف الله بالحقد ونفيه عنه لم يردا في الشرع الاسلامي كما لم يرد وصفه سبحانه بالحسد . بخلاف ما ورد مثل الغضب والانتقام مثلاً فان الله يوصف بهما ولكن لا يقاس عليهما غيرهما مما لم يرد .

وفي الكتاب اغلاط لغوية قليلة : من ذلك ما في ص ١٢ [دين الملة الخفية السحراء] وصوابه السحرة وفي ص ٤٥ [ان النبي صلى الله عليه وسلم أعظم رجل يجب احترامه وتهذيبه وتوقيره] فقوله وتهذيبه صوابه ان يقال مكانه [وتعزيره] بالراء وبالأزاي وكلاهما بمعنى التعظيم والتوقير ، وفي ص ٤٧ قوله [ومكالمكم معه] صوابه ومكالمكم اياه او له على ان التكليم هنا افصح من المكالمة وغير ذلك مما تحملنا قلته على شكر المؤلف الفاضل واكبار عنايته في إبراز هذا الأثر المفيد ، فتلقت انظار الآباء والمربين اليه .

الحضارة الاسلامية

في القرن الرابع الهجري

تأليف آدم متز وتحرير محمد عبد الهادي أبو ريدة طبع على نفقة بيت المغرب
الجزء الأول في ١٥٠٠ الجزء الثاني والجزء الثالث في ٣٨١ صفحة
مطبعة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة

كان مؤلف هذا الكتاب من أساتذة جامعة بال في سويسرا كتب كتابه
بالألمانية ونشر بعد وفاته «١٩١٧» ثم نقل الى الانكليزية والاسبانية وتقدم احد
مدرسي كلية الآداب بالقاهرة الاستاذ بوريدة ونقله الى العربية بلغة راقية راداً
فيه نصوص المؤلف الى الاصول العربية التي اخذ عنها من الكتب العربية القديمة ومعتمداً
على نحو اربعين تأليفاً عربياً حفظت في خزائن الكتب في باريس وليدن ولندن
وبرلين وليبسيك ومونيخ وفيينا مما لم يكتب له ان ينشر بالطبع ، وهو عمل شاق
قام به الاستاذ الناقل احسن قيام بتحقيقه كما هو معلوم من
وموضوع الكتاب من اجل الموضوعات المفيدة للباحثين من ابناء الشرق والغرب
في هذه الحضارة الاسلامية العجيبة ، تناول المؤلف كل ما رآه مهماً في جلاء
حقائقها فتكلم على المملكة وعلى الخلفاء والامراء وابناء الذمة من النصارى واليهود
وعلى الشيعة ، وعرض للإدارة والوزارة والوزراء والمسائل المالية ورسوم دار الخلافة
والاشراف والرفيق والعلماء وعلوم الدين والمذاهب الفقهية والقضاء واللغة والادب .
وافاض في الجزء الثاني في خدمة العرب لفن الجغرافيا وما حدث من التطورات
في الدين والأخلاق والعادات ومستوى المعيشة واحوال المدن والاعباد والحاصلات
والصناعات والملاحاة النهرية والبحرية والمواصلات البرية .

كل ذلك بأسلوب الافرنج الراقي في التأليف ، يأتيك بالنصوص وقد سلكها
في سلك بديع ، وما رأى ان يدخل شخصه وبين رأيه الاعتدال الضرورة ، ولئن

كان المؤلف لم يواته الاجل لاعادة النظر في كتابه ونشر بعده قبل ان ينقحه
 ويزيد وينقص فيه، إنه من خير ما كتبه الغربيون في هذه الحضارة تشهد فيه مسحة
 جميلة من الانصاف ومعرفة ثاقبة في ايراد الحقائق من دون عصبية ولا عنجبية ،
 وهذا قل ان يشاهد فيمن يكتبون في غيرهم من ام الحضارة الحديثة . قل
 في الناس من ينصف غيره من نفسه ، ولذلك كان معظم من كتبوا فينا من اهل
 الغرب كانوا اما مفرطين في كيل المديح لنا كيلاً وإما مغرضين في محاسبتنا على
 النقيير والقطمير بدون انصاف ولا قسط ؛ اما آدم متزفتمط جديد فهو الهدوء والكمال
 والخلق والعلم .

ان هذا الكتاب من ابداع ما يقتنيه العربي ليقف على اقوال الباحثين في
 مدنية اجداده ، والشكر للمعهد الخليفي وللجنة التأليف على اختيارهما هذا الكتاب
 لنفع الناس . ومعظم الشناء بتوجه الى الاستاذ الناشر ولا يبعد ان يكون عافي
 من التعب في نقل هذا السفر البديع اكثر مما تعب المؤلف في جمع مواد كتابه ،
 أنابهم الله كلهم عن العلم

محمد كرد علي

